



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

سيميائية الأهواء في رواية "أحلام نازفة" لـ : "هيفاء بيطار"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص :(أدب معاصر)

إعداد الطالبتين :

- كوثر عيدة .
- نادية حناشي .

إشراف الأستاذة :

آمـــال كبير .

لجنة المناقشة :

الأستاذ	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
زراد جنات	أستاذ مساعد (أ)	جامعة تبسة	رئيسا
آمال كبير	أستاذ مساعد (أ)	جامعة تبسة	مشرفا ومقررا
محمد عروس	أستاذ محاضر (ب)	جامعة تبسة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :

2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــــدمـــــــــة

مقدمة :

حاول الإنسان على مر العصور أن يقف على أسرار النفس ، وأن يتفهم ما تنطوي عليه من البواعث التي تظهر آثارها في رضا المرء عن حياته أو شقاوته بها ، وفي إقباله على العمل والحياة على اختلاف وجوهها وما تعجّ به من ضروب الكفاح والإنتاج ، كما جاهد في سبيل الكشف عما يؤدي إلى ما ينتاب الإنسان من ألوان العلل التي يظهر بعضها على البدن وبعضها الآخر على العقل فيضطرب .

وقد اهتم الدارسون بهذا المجال – البعد الهووي – وسعوا لكشف اللمسات العاطفية التي تتركها النصوص الأدبية في نفسية قارئها ، وإذا كانت الدراسات الأدبية قد حاولت إنارة بعض الزوايا المظلمة والغامضة في النفس البشرية ، إلا أنها قد أبقت فجوات وثغرات لتطلق العنان لدراسات لاحقة ؛ والتي من بينها ما نحن بصدد البحث عنه في هذه المذكرة ، وهو ما جعلها توسم بعنوان : (**سيميائية الأهواء في رواية أحلام نازفة لهيفاء بيطار**) .

لذلك فإن هذا البحث هو محاولة قراءة كلية غير ممزقة الأوصال لاستنطاق هذا النص الروائي واستكناه مكوناته وقوانين الخطاب التي يشتغل وفقها لتبني الدراسة السردية .

ولعل من أهم الدوافع التي دعت لاختيار وانتقاء هذا الموضوع ، فذلك لاعتباره مادة غير مستهلكة إلى حد كبير ، فهو يعاني من نقص في مجال البحث والنقد ، ويحتاج إلى دراسات معمقة ، لإضافة إلى ما أحدثته أعمال الروائية السورية " هيفاء بيطار " في نفوسنا وما كنا نلقاه من تميّز وتفرد وقوة شخصية وسعة ثقافة وغزارة إبداع ، كلما اطلعنا على شيء من أدبها خاصة في فن الرواية ومنها رواية " أحلام نازفة " التي كانت معبرة بدرجة أولى عن العواطف السائدة في المجتمع العربي المعاصر ومستجدات العصر .



ومن هنا يجدر بنا طرح الإشكال الآتي :

ما المقصود بسيمياء العواطف ؟ وماهي مرتكزاتها ؟ وكيف تمظهرت في الرواية ؟

ونعتزم في هذا البحث أن نستنجد بمجموعة من المعطيات التي أفرزتها الدراسات السردية الغربية والعربية وذلك من أجل طلب أكبر للدقة العلمية والموضوعية لمختلف المظاهر السردية ؛ والتي من بينها : مذكرة ماجستير بعنوان (سيمياء الانتماء في رواية : الانطباع الأخير لـ : مالك حداد) للطالبة : بشار سعيدة ، جامعة تيزي وزو ، كما اعتمدنا على مجموعة من المراجع نذكر :
(" قاموس السرديات " لـ : جيرالد برنس) ، (" سيميائيات الأهواء من حالا الأشياء إلى حالات النفس لـ : ألجيدراس غريماس وجاك فونتاني) ، بالإضافة إلى مراجع ووسائل أخرى كثيرة ومتنوعة . ولتحقيق هذا الهدف الذي نسعى إليه من خلال بحثنا ، اتبعنا ووفقا لما اقتضته الدراسة المنهج السيميائي نظرا لملائمته لطبيعة الموضوع .

وبحثنا كأي شروع علمي لم يكن ميّسرا أو خاليا من العوائق والعراقيل التي صادفتنا والتي تزيد من تذوق حلاوة البحث ومشاقه من بينها : أن أهم الدراسات التي اختصت بهذا الموضوع هي كتب أجنبية ، تكاد أو يمكن القول تنعدم في مكتبتنا وإن كان هذا في الأصل من أهم خصائص البحث العلمي التي تساعد الباحث على تعلم الصبر وطريقة البحث ، إضافة إلى الجهود النفسية والعقلية لمحاولة الحياد وطلب الموضوعية .

وعلى هذا الأساس فقد سطرنا خطة منهجية تمكننا من الاستثمار الفعال لهذه الرواية وخدمة الموضوع وكانت كالآتي : مقدمة ، فصلين وخاتمة .

أما الفصل الأول فجاء بعنوان : سيمياء الصور الانفعالية ، انقسم بدوره إلى ثلاثة عناوين رئيسية .

الأول كان بعنوان :

سيمياء الأهواء : تتبعنا مسار سيمياء الأهواء عند القدامى والمحدثين وعند مؤسسيها غريماس وفونتاني، ركزنا خلالها على الطريقة التي تم من خلالها الانتقال من سيميائية العمل إلى سيميائية الأهواء وكيفية الامتزاج بينهما " عاطفة + عمل " ، باعتبار الهوى أريجا ملازما للذات ، والعنصر



الثاني كان بعنوان ، المتن الحكائي : قمنا باستقراء الرواية لكشف المغزى العام الذي تدور حوله أحداثها تطرقنا إلى عناصر الرواية الرئيسية : " الشخصيات ، الأحداث ، الراوي وعلاقته بالشخصيات وسرد الأحداث " .

والعنصر الثالث كان بعنوان : التمظهر المعجمي : استخلصنا العواطف المهيمنة في الرواية .

أما الفصل الثاني : جاء تحت عنوان : **البنية السردية الهووية** يحتوي بدوره على ثلاثة عناوين عناوين وهي كالآتي :

- ✓ الخطاطة الاستهوائية .
- ✓ البرامج الاستهوائية : " هوى الحب ، هوى الكراهية " .
- ✓ النسق السردي وبناء الأحداث تتضمن " الفضاء المكانية ، الزمانية "، الشاكلات السيميولوجية الاستهوائية وختمنا بحثنا بجملة من النتائج أهمها :

- أن سيميائية الأهواء جاء تكملة لسيميائية العمل ، إذ أن مشروعها ينهض على أساس سد ثغراتها وملئ البياضات التي تزعزع البناء النظري .
- سيمياء الأهواء تقوم على المقاربة السيميوطيقية سطحا وعمقا ، وذلك من خلال استقراء المكونات التركيبية والمكونات الدلالية .

ولكن لا يسعنا في النهاية إلا أن نتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى جميع هيئات الجامعة لتوفيرها فرصة البحث ، للطلبة وإلى الأستاذة المشرفة آمال كبير على مساندتها وتوجيهاتها ونصائحها القيّمة وعطائها العلمي .



مــدخـــــــــل

قضايا الرواية العربية المعاصرة

1-نشأة الرواية العربية

2- البدايات الأولى للرواية العربية

3- مظاهر التجديد في الرواية العربية المعاصرة

قضايا الرواية العربية المعاصرة

الفن الروائي أحد الفنون النثرية الحديثة؛ حيث تعدّدت الأبحاث والدراسات، وتنوّعت المقاربات للنص الروائي العربي الحديث ، وذلك لما له من قدرة فائقة على التغلغل في الحياة اليومية ، وتركيزه على الفردية الإنسانية ، بعد أن كان همّه الموضوع ، حيث تسعى كل هذه المحاولات لملامسة أبعاده ودلالاته و إبراز معالم جماليّاته .

1-نشأة الرواية العربية

تعدّدت المفاهيم و اختلفت حول مفهوم الرواية ؛« حين نعود إلى القواميس العربية لتحديد مفهوم الرواية نجد أنَّ هذه اللفظة تدل على التفكير في الأمر، وتدل على نقل الماء وأخذه ، كما تدل على نقل الخبر واستظهاره ، فقد ورد في لسان العرب عن ابن سيده في معتل الياء روِي من الماء بالكسر ، ومن اللبن يروي ريًا...ويقال للناقة الغزيرة هي تروي الصبي لأنه ينام أول الليل...والرواية المزادة فيها الماء ، ويسمى البعير رواية على تسمية الشيء باسم غيره لقربه منه ، والرواية أيضا البعير أو البغل أو الحمار يسقى عليه الماء ، والرجل المستقي أيضا رواية ...»[1].من خلال هذا التعريف نلاحظ أن المدلولات المشتركة للرواية تفيد في مجموعها عملية الانتقال والجريان والارتواء سواء كان ماديا " الارتواء بالماء "، أو روحيا " النصوص والأخبار" .

وتكمن أهمية هذا الفن في الكشف عن الشخصية الإنسانية ودورها في المحيط السياسي والاجتماعي والنفسي والتاريخي.إذ أنه يصيب منها البُنَى المتداخلة للإنسان ويكشف عن هواجسه تجاه الكون والمجتمع « وتّتخذ الرواية لنفسها ألف وجه وترتدي ألف رداء ممّا يعسر تعريفها تعريفا جامعا »[2].وهذا ما جعل المفكرين والفلاسفة القدماء لا يعترفون بجنس الرواية لعدم وضوحه وبروز

([1]) صالح مفقودة : أبحاث في الرواية العربية ، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر، ص 04 .

([2]) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد " ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1998 ، ص 12 .

ملامحه حيث أن الرواية كانت تقترن بالتاريخ حيث عدّها بلزاك حليفا للتاريخ ، بينما نجد فولكنير يعتبرها إبطالا حتميا لمسار التاريخ .

فالرواية تشكيل للحياة في بناء عضوي يّتفق وروح الحياة ذاتها ، ويعتمد هذا التشكيل على تصوير الأحداث والشخصيات والوسط الذي تدور فيه ، على نحو يُجسّد في النهاية صراعا دراميا، وهذا المفهوم الفنّي للرواية مفهوم حديث ، لم تعرفه الآداب الغربية من خلال أعمال : " جين أوستن" و " إيميل زولا "، " وبلزاك" ، "وديستوفسكي" و" تولستوي "، حيث استطاعت أعمال هؤلاء الروائيين وغيرهم أن تعطي تنوعا باتجاهاتها المتعدّدة ، كما ركّزت على الواقع الاجتماعي والواقع الفردي ؛ واتّجهت خاصة في أعمال ديستوفسكي إلى تصوير استجابات الفرد من خلال استكشاف الحياة الباطنية للإنسان ممّا مَهَّد للقصص النفسي، واعتبرت حياة الإنسان سلسلة من الأفعال المترابطة داخل الزمان ، وتعتبر هذه المحاولات تمهيدا لميلاد الرواية الفنية الحديثة .

2– البدايات الأولى للرواية العربية

أمّا عن بدايتها فقد « بدأت الرواية الحديثة كفن أدبي في أواخر القرن الثامن عشر ، متأثّرة بما ساد في التفكير الأوروبي آنذاك من سيطرة للمنهج التفكيري العقلي ؛ وتحوُّله إلى البحث عن الواقع والاعتماد على ملاحظة الظواهر والأحداث ، واتجه فنّانوا هذا الإطار الحضاري بفعل تلك العوامل إلى التنقيب عن مواقع الحياة في نفوس البشر، وإلى النظر للواقع نظرة تكشف حقيقة هذا الواقع في علاقة الإنسان بالغير، باعتباره كائنا مشتركا في زمن يترجم إلى علاقات اجتماعية ، وهكذا قُدِمَت الأعمال الروائية التي صدرت عن هذا المفهوم الحضاري واقعا متماسكا هضمه الكاتب سابقا، وعلّق عليه ، ويكفي الكشف عنه بدّقة للعثور على صورة متماسكة له، ونقلت للقارئ قصة بطل يعيش في عالم محدود المعالم ، يحرّكه الكاتب كيفما شاء في الاتّجاه الذي يشاء»[1] ، وما نلاحظه أنّ الفن الروائي تغلغل في الواقع وعلاقات الإنسان وتحركاته مُلِما بخارج النفس الإنسانية وعلاقاتها ودواخلها المتنازعة .

([1]) السعيد الورقي : اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ، د.ط ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1998 ، ص 03

ويدل ظهور الرواية الحديثة على انتقال الفن القصصي من مرحلة البساطة والتقليد إلى مرحلة النضج الفني ويدل على مضّي المجتمع قدما نحو مزيد من العصرنة ، وقد جاء ظهورها تلبية للحاجات الجمالية الاجتماعية المستجدة « فالرواية الحديثة تعبير عن وعي فني متطور وتجسيد فعلي لمفاهيم أدبية ونقدية جديدة تتّصل بوظيفة الرواية وماهيتها وصلتها بالواقع وعلاقتها بالمتلقي ، فهي بنية أدبية متميزة تتخلق نتيجة للتفاعلات الذاتية (طبيعة العناصر الروائية وتفاعلاتها) والتفاعلات الموضوعية (علاقتها بالواقع والتراث المحلي والعالمي وعلاقتها بجمهور القراء) »[1] . والتجديد الأدبي والفني في هذه الرواية ليس فقط في الأسلوب ، وهذا لا يعني التزيين والزخرف وإضافة الألوان وإنما تغيير أدوات تحليل الواقع الجديد وفق ما يتفاعل معه ويناسب تفسيره وفهمه كونه يصدر عن وعي جمالي يتخطى حدود الوعي السائد، ويتجاوزه إلى آفاق جديدة .

« لهذا فإن مهمة الرواية الحديثة لا تتمثل في الوعظ والإرشاد والتعبير، كما هو شأن الرواية التقليدية ، بل تتمثل في تجسيد رؤية فنية ، أي تفسير فني للعالم ، والرؤية كشف جديد لعلاقات خفية، ومن خلال هذا الكشف الجديد تتولد المتعة أو التشويق والجاذبية»[2] فهي تعالج الواقع وترصد الظواهر وتتغلغل فيها لتصل إلى الباطن الجوهري للعلاقات وتصورها من الداخل، وهذا ما يؤدي إلى ترابط الأحداث ونموها وفق مبدأ العلية والسببية، كما يؤدي إلى تطور الشخصيات وتناميها ، وبالتالي توازن عناصر البنية الروائية ومنه توازن الرواية ككل.

3–مظاهر التجديد في الرواية العربية المعاصرة

اختلفت الرواية الحديثة عن الرواية التقليدية في عناصر بنائها وتركيبها حيث تطورت فيها الشخصيات والأحداث والأساليب والزمان والمكان وتميزت عنها بالتماسك والترابط والتدرج الفني فقد جاءت تقنياتها موافقة لرؤيتها ووظيفتها المتمثلة في التأثير والإقناع الفني.

([1]) شكري عزيز الماضي:أنماط الرواية العربية الجديدة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1978 ، ص 12 .

([2]) شكري عزيز الماضي : أنماط الرواية العربية الجديدة ، ص 13 .

« تهدف الرواية الحديثة إلى التأثير في القارئ عن طريق تقديم الحقائق النوعية الفنية بصورة مقنعة . ويحدث في الغالب التركيز والسعي إلى تجسيد مبدأ مهم من جماليات التلقي يتمثل في "الإيهام بالواقعية " أي الإيهام بواقعية عالمها الفني ، وهذا ما يفرض على الرواية الاهتمام بالتفاصيل والجزئيات أو تصوير نثريات الحياة التي تبدو دالة داخل الإطار الفني للرواية . ولكن مبدأ " الإيهام بواقعية العالم الروائي " -يعني في ما يعني- مشابهته للعالم المعيشي»[1]. وقد أدى هذا التشكيل الجديد إلى فهم العالم ووضوح ظواهره رغم اختلافها وتباعدها وتنافرها وسهَّل الطريق للإجابة عن أسئلة الواقع وتحديّاته وأزماته وتفسيره وتغييره.

« ولعلَّ من أهم ما تستميز به الرواية الجديدة عن التقليدية أنها تثور على كل القواعد، وتتنكّر لكل الأصول وترفض كل القيم والجماليات التي كانت سائدة ، كما أن غاية الكُتّاب الجدد في تعاملهم مع الشخصية أنهم يثبتون للقارئ لا تاريخيّة هذه الشخصية ولا واقعيّتها ولا وجوديّتها، فالرواية الجديدة هذا العالم الأدبي الرحيب السردي العجيب هذا الجنس الأدبي الشعري ، واللاشعري، الاجتماعي واللااجتماعي ، الواقعي والأسطوري ،الذي طغى على جميع الأجناس الأدبية الأخرى، ولقد نشأت تعبيرا عن التعقيد المعقّد من مركبات العصر ، فهي مرآة للفكر الإنساني المعاصر في قلقه وتمزّقه وشقائه، فالرواية التقليدية في شكلها المألوف في الأدب العالمي لم تعد شكلا أدبيا قادرا على التلاؤم مع الظروف الحضارية الجديدة »[2].

والملاحظ هنا أن بناء الرواية وتشكيلها يتماشى ومركّبات العصر ، فبتغير العصور وتطورها تتغير الأشكال الروائية لتتلائم والظروف الجديدة ، فتتغير بذلك أسسها وتقنياتها بما فيها الحوار والشخصيات والأحداث التقليدية وهذا ما نجده مستشبع لدى عمالقة الرواية الجديدة لنصل في النهاية إلى بنية فنية دالة ، تشكيلها الفني هو تجسيد لرؤية العالم على الرغم من تنوع الرؤى الفنية وتعدّدها .

([1]) شكري عزيز الماضي : أنماط الرواية العربية الجديدة ، ص 14.

([2]) عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد "، ص 52.

« وقد تَعرّف الأدب العربي الحديث على الرواية الغربية في أشكالها المتعددة ومذاهبها المختلفة، واستطاع هذا الفن الجديد خلال فترة ضئيلة – قياسا بتاريخ فن الشعر في العربية– أن يحتل الصدارة بين الفنون الأدبية ، وأن يخفت صوت الشعر، وما للشعر من رصيد هائل في الوجدان العربي، وتلاحقت أجيال كتاب الرواية في الأدب العربي الحديث في سرعة مدهشة، مُثِّلَ فيها كل عقد جيلا له نصيبه الواضح من المحاولة والتجريب، وله مساهمته الملحوظة في التطوير والتقدم ، وله ملامحه التي تميزه عن غيره »[1].

وبالتالي فقد استطاعت الرواية العربية أن تستوعب الأشكال الروائية الجديدة ، وأن تهضمها لتخرج منها برواية عربية لها ملامحها واتجاهاتها، نابعة عن تجربة الروائي العربي .

و« يكاد يتفق دارسو الأدب العربي على أن قصة زينب لمحمد حسين هيكل* هي الرواية الفنية التأسيسية في الأدب العربي ، يقول يحيى حقي : " إن مكانة قصة " زينب " لا ترجع فحسب إلى أنها أول القصص في أدبنا الحديث ، بل إنها لا تزال إلى اليوم أفضل القصص في وصف الريف وصفا مستوعبا شاملا "»[2]. حيث صورت رواية "زينب" الواقع المصري عن طريق وصف حياة الفلاحين ، وقد خُصِّصَ فيها الحديث عن صور لمناظر ريف مصري ، وأخلاق أهله ، فهذا المصري الفلاح يشعر في أعماق نفسه بمكانته وبما هو أهل له من الاحترام وهذا ما سعى إليه حسين هيكل من خلال كتابته للرواية . وهناك من اعتبر سيرة عنترة وقصص ألف ليلة وليلة أعمالا روائية سبق فيها العرب الغرب.

([1]) السعيد الورقي : اتجاهات الرواية العربية الجديدة ، ص 15.

* محمد حسين هيكل : كاتب مصري ولد عام 1888 بإحدى قرى السنبلاوين في أسرة ريفية ثرية ، تلقى دراسته في قريته ، ثم في القاهرة ، حصل على إجازة مدرسة الحقوق سنة 1909 ، ثم أكمل دراسته في فرنسا ، حصل على الدكتوراه في الاقتصاد السياسي عام 1912 ، اشتغل بالصحافة وتولى وزارة المعارف ، كما تولى رئاسة مجلس الشيوخ عام 1945 إلى 1955 ثم تفرغ للكتابة السياسية والأدبية إلى غاية وفاته في 1956 .

([2]) صالح مفقودة : أبحاث في الرواية العربية ، ص 41 .

لقد استطاعت الرواية العربية المعاصرة أن تلامس العديد من جوانب المحظور في الثقافة العربية ، إذ لم تجعل من هذا المحظور مادة للاستهلاك فحسب، بل استطاعت أن تجعل منه نافذة للإطالة التخيلية على عوامل ظلّت في حكم المسكوت عنه والمُهمّش والمُقصي من التفكير.

كما ساهم تطور الرواية عبر السنين في تحويل النظرة إلى اللغة : لغة الكتابة ، لغة الإبداع، لغة التداول، وبالتأكيد فإن انفتاح الرواية على ما لحق اللغة وطرائق التعبير من تطور قد يكون ذا وظيفة مزدوجة؛ فهو من جانب يعكس تحول الرواية ذاتها ، أي تحول شكلها ومادتها ووسائل التعبير ، فهي ليست أداة للتعبير فحسب ، إنما هي أيضا مادة للاشتغال ستُمكّن الكتابة الروائية من أن تصبح في الغالب كتابة تجريبية ، تُعيد إقامة صلات جديدة بالمتخيل في خصوصياته ، في أبعاده الكونية.

« من الملامح التي أبرزناها في بعض الروايات الجديدة ، تثير الانتباه بلغتها وجرأتها واقتحامها لمناطق تعتبر محرمة في عرف الأخلاق السائدة ، بينما هي أصبحت مُكونة لواقع اجتماعي نفسي ، اقتصادي ، مُتَحَدِّر من تحولات متسارعة ومخيفة تتقاذف المجتمعات العربية »[1].

« في الرواية الجديدة يحضر الدين غالبا ضمن خانة العناصر المتصلة بالكينونة والتطلُّع إلى كشف الحجاب عن المجهول والغامض والمستعصي عن الفهم ، ففي رواية "بمناسبة الحياة" لياسر عبد الحافظ، نجد إحدى الشخصيات "مظهر" مشغول برؤية الله وخصص دفتر لكتابة مشاعره حول الموضوع »[2].

في النصوص الجديدة يتلقى الفرد المأزوم والمقهور المتروك على الحساب، بالسياسة مشخصّة في واقع مسدود الآفاق فلا يحس بالانتماء إلى الوطن والمجتمع « ومن الخصائص التي تتسم بها النصوص الروائية الجديدة ما نطلق عليها " تذويب الكتابة" أي حرص الروائي على إضفاء سمات ذاتية على كتابته ، وذلك من خلال ربط النص بالحياة والتجربة الشخصيتين ، ولهذا تلجأ الرواية الجديدة إلى السيرة والتخييل الذاتي لاستحضار العالم وتمثيله تمثيلا فنيا »[3].

([1]) محمد برادة : الرواية العربية ورهان التجديد ، ط1 ، مجلة دبي للثقافة ، دار الصدى للصحافة والنشر و التوزيع ، ماي 2011 ، ص 60 .

([2]) م . ن ، ص 61 .

([3]) م . ن ، ص 67 .

كما يظهر الجانب النفسي في الرواية العربية من خلال إسهامها في التعبير عن جزء من المتخيل الاجتماعي والنفسي خلال فترات ومنعطفات برزت في تاريخ المجتمعات العربية، كما أن مسألة الهوية تتمثل في العديد من النصوص الطويلة النفس التي تبدو ومن حيث محتوياتها وبنيتها قريبة من الرواية العاطفية أو السيكولوجية للقرن 18 ، وبخاصة من خلال التركيز على تصوير التوتر والصراع بين العاطفة والواجب ، وعلى تجربة الألم والحلم ، والتعاطف مع المرأة ضد شرائع المجتمع وأعرافه ، وبالتركيز على أسلوب الرسائل وما يشبه البوح الشعري المجنّح في مستوى الأسلوب واللغة ، غير أن هذا المنحى رغم ذاتيته البارزة مُطَعَّمٌ بلمسة واقعية تظهر في انفتاح الأدباء على اللغة المحكية ، ولغة التداول اليومي في الحوار واستيحاء صور الشخصيات القصصية المتخيلة من الواقع الاجتماعي الملموس نجد مثلا : [رواية زينب ، لمحمد حسين هيكل تُشخص قصة الحبّ الخائب والمتعثر أمام ضغط التقاليد وقسوتها في المجتمع ، وفيها انتصار للعاطفة على الواجب ، وفيها إلتفات واضح نحو الوسط والبيئة الريفية ، ونحو لغة التأمل وإبداء الرأي في الحياة والمجتمع ونحو أسلوب الرسائل][1].

في الأخير نخلص إلى أن كل رواية ترتكز على معرفة ما ، تكون هي العنصر المحدد لخلفية النص ومقاصده ، وعلاقته بصوغ الرؤية للعالم والمعارف التي تنقلها الرواية ، تتوزع بين مجالات النفس والسلوك والذاكرة ووصف الحياة اليومية في فضاء معين ، واستبطان بعض الظاهرات الاجتماعية وإعادة تأويل التاريخ عبر التخييل .

([1]) ينظر: فيصل دراج : نظرية الرواية والرواية العربية ، ط2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2002 ، ص 183 - ص 185 « بتصرف» .

الفصل الأول :

سيمياء الصور الانفعالية

1– سيمياء الأهواء .

2 – المتن الحكائي .

3 – التمظهر المعجمي .

الفصل الأول

سيمياء الصور الانفعالية

من بين المناهج التي تم الاعتماد عليها في تحليل النصوص: " السيميائية "، فهي تعمل بدورها على تحليل النصوص سواء أكان ذلك من الداخل أو الخارج.

1- سيمياء الأهواء :

يرجع الفضل لظهور سيميائية الأهواء إلى كل من "غريماس"، و"جاك فونتاني" اللّذين عملا بدورهما على تجاوز سيمياء العمل التي تم انتقادها من طرف النقاد ، لأنها مخصصة للحدث فقط ، والانتقال إلى التوفيق بين العمل والعاطفة .

أ–السيمياء وسيمياء الأهواء :

إنّ ارتباط اللغة بالإنسان جعلها تتبوأ مكانة عالية، فكانت جديرة بالدرس والتحليل . ولقد حاول الباحثون على مر العصور إبراز أسرارها وكشف غموضها وسبر أغوارها ومعرفة أدوارها التي تؤديها في مختلف مناحي الحياة ، وذلك بالاعتماد على أسس علمية انطلاقا من كون اللغة نشاطا إنسانيا معقدا يصعب تفسيره بنظرة أحادية. فكان من اللزوم البحث عن تظافر عدة مناهج .

ولعل من أشد هذه المناهج تعلقا بالأدب المنهج الوصفي اللساني ، فاتسعت النظريات اللسانية ومناهجها وتطورت وانفتحت ، إذ أن الأدب يسهل الوصف ويعين على التحليل بيد أنه [التحليل اللساني] قد يقف عاجزا عن الوصول إلى السمات اللسانية العالية المجسدة في النص الأدبي فيلجأ حينئذ إلى بديل آخر قد يدرك هذه الخصوصيات وهو السيميائية .

اقترن مصطلح السيمياء في حركة التأليف المبكرة عند العرب بعدد من العلماء . وهناك اختلاف كبير في المصطلحات المتداولة لتسمية هذا العالم ، ولكن السيمياء كلمة عربية وخفيفة الوقع وهي موافقة تماما لمعنى { العلامة } التي هي محور هذا العلم في صورته المعاصرة كما ورد ذلك في المعاجم العربية والأجنبية .« جاء في قاموس الوسيط : (السومة) : السمة والعلامة ، والقيمة يقال: إنه لغالي

السومة. (السيمة): السومة. (السِّيما) : العلامة . وفي التنزيل العزيز : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ .(السِّيماءُ) : السِّيما (السِّيمياءُ) : السّيما »[1].

وقد كان مفهوم هذا العلم في ذلك الوقت قريبا من السحر يقول صاحب كتاب أبجد العلوم: « السيمياء هي اسم لما هو غير حقيقي من السحر... وسيمياء لفظ عبراني معرب أصله { سيم به}»[2].

حيث أن علم السيمياء مر بمراحل عديدة فقد بدأ مختلطا بكثير من العلوم كالسحر ، والكيمياء والطب ، وفي الكثير من الحضارات من بينها العربية والإسلامية، ولكنه تمكن أخيرا من التميز والتفرد بوصفه العلم الذي يبحث عن معنى العلاقات اللغوية وغير اللغوية وسط الحياة الاجتماعية وكانت للمسلمين إسهامات جليلة في هذا العلم ، فقد وردت كلمة { سيما } وبعض مشتقاتها في القرآن عدة مرات مقرونة بالتعرف والمعرفة ، ووردت أيضا في الشعر العربي . بينما تناول الكثير من علماء العربية العظام الموضوعات التي صارت تعرف اليوم بالمباحث السيميائية ومن هؤلاء، ابن سينا وابن خلدون وعبد القاهر الجرجاني والجاحظ وغيرهم .

كما تعود الأصول الفكرية للسيميائية لأصول الفكر اليوناني والإسلامي والمنطقي التداولي والوضعي والتجريبي واللسانيات البنيوية والتحويلية . ومن مبادئ السيميائية ومن مبادئ السيميائية : التفكيك والتركيب ؛ والتحليل المحايث والبنيوي ، ولها اتجاهان رئيسيان : أمريكي وفرنسي ، ونوعان رئيسيان هما : سيمياء التواصل والإبلا غ، التواصل والإبلا غ ، وسيمياء الدلالة ولكل منهما أشكال عديدة .

يرى "دي سوسير" وتلاميذه أن اللسانيات جزء من السيمياء ، بينما يرى البعض أن اللسانيات هي أصل السيمياء ، ويستعمل العلماء في هذا المجال عددا من المصطلحات أهمها "العلامة" ، و"الدال والمدلول" { الدلالة } و"التأويل" و"المحايثة" و"المعنى" وغيرها ؛ والعلامة هي محور هذا العلم

([1]) إبراهيم مصطفى وآخرون : قاموس الوسيط ، تح : مجمع اللغة العربية ، ط4 ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، القاهرة ، 2004 ، ص 465، 466 .

([2]) صديق القنوجي : أبجد العلوم ،ج1 ، ط1 ، إع :عبدالجبار زكّار ،منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ،دمشق، سوريا، 1889 ،ص 392 .

إذ استفاض في الحديث عنها العلماء فعرفوها ووصفوا أنواعها وبينوا علاقاتها ووصفوها بالاعتباطية وقبلوا تقسيما على وجوه عدة .

وتعد اللغة وآدابها أخصب مجالات التطبيق السيميائي ، وتحتل السردية مكانا هاما ومركزيا في النظرية السيميائية ، ذلك أن النماذج السردية تشكل البنية الثابتة (Constante) للخطاب، فقد أصبح نموذج السَّعي شكلا نظاميا ، وهو يرتكز على العلاقات الموجودة بين الذات والموضوع ، ويحاط عن طريق مسار المرسل ويُنظّم عن طريق مسار الذات المضادة « كما يعتبر البرنامج السردي نواة النحو السردي ، حيث يوضح الطريقة التي يتحقق عن طريقها تحول حالة الأشياء في الخطابات، ويقوم على تحويل ملفوظات الحالة (Enoncés d'état) ، عن طريق تركيب بدئي للامتلاك أو الفقدان أو تقاسم (تبادل) القيم الموجودة في الموضوعات المرغوب فيها ، كما تمثل ملفوظات الصلة (وصل أو فصل) تناقضاتهما ، إن العملية القاعدية لهذا التركيب والمبنية على عدم تواصل الحالات أو تقطعها (Discontinuité) ويتحقّق تحولها عن طريق ملفوظات الفعل »[1].حيث يقوم النحو السردي على وجود علاقة بين الذات والموضوع ، سواء أكانت علاقة اتصال أو علاقة انفصال التي يتحقق من خلالها الخطاب ، ولا يأخذ التحليل بالنسبة لسيميائية الحدث بعين الاعتبار تغير حالات الذات سواء كانت مضطربة أو غير متزنة في مواجهتها للحدث.

إنّ الاهتمام الذي أولاه "غريماس" لسيميائية الحدث ،وإهماله للجوانب النفسية جعله محل انتقاد من طرف النقاد ، هذا مادفعه إلى إعادة النظر في دراسته السيميولوجية ليصل في النهاية إلى التوفيق بين داخل النصوص وخارجها أي الجمع بين حالات الأشياء وحالات النفس من خلال آرائه المطروحة في كتابه الموسوم بعنوان : سيميائية الأهواء (من حالات الأشياء إلى حالات النفس).في إطار التطور الإبستيمولوجي الذي تخضع له الحقول المعرفية ، عرفت السيميائيات السردية الغريماسية تحولا في تسعينيات القرن الماضي ، من سيميائيات الفعل إلى سيميائيات الهوى، باعتبار الهوى أريجا ملازما للذات [استفاد "غريماس" من مجموعة من الحقول المعرفية ك : (الرياضيات ، الفيزياء ،

---

(1) Denis Bertrand : Précis de sémiotique littéraire ، P226.

نقلا عن : عمي ليندة ، سيمياء العواطف في قصيدة " أراك عصيّ الدمع " لأبي فراس الحمداني (مذكرة ماجستير) ، إشراف : (آمنة بلعلى) ، جامعة مولود معمري ، جامعة تيزي وزو ، تيزي وزو، الجزائر ، ص 13 .

الكيمياء...) ومن مجموعة من الباحثين ك : (بروب ، ستراوس) ، والتي ساهمت بشكل فعال في بلورة مفاهيميه في سيميائيات الفعل ، فإنه استفاد أيضا في سيميائيات الأهواء من الظاهراتيين الذين ربطوا بين الذات الشعورية وعالم الأشياء إدراكا ومقصدية ،كما تجلى ذلك عند" هوسرل وميرلوبونتي" .ويبدو تأثره بميرلوبونتي حينما حول الربط بين الشعور وإدراك العالم ضمن علاقة تواصلية تفاعلية . وبتعبير أخر يتوسط الجسد الاستهوائي الذات وعلم الأشياء ، وذلك عن طريق تشغيل الحواس لإدراك العالم وتحديد مقصدية الذات ، ومن هنا يتم الحديث عن الانتقال من حالات النفس إلى حالات الأشياء.كما استفاد من فينومينولوجيا هوسرل الذي استمد منه مجموعة من المفاهيم كالتوترية والتوتير، كما تعدّ المكاسب التي حققها غريماس في سيميائيات الفعل عدَّة أساسية لسيميائيات الأهواء، خصوصا المسار التوليدي الذي يتكون من البنية العميقة والمستوى السردي ثم التجلي الخطابي. فقد ظل غريماس وفيّا لهذا المكسب ومحاولا في الوقت ذاته تجاوز الثغرات الموجودة في نظريته الأولى وذلك من خلال التفاته للبعد الإنفعالي الذي ألغاه في نظريته الأولى من خلال تركيزه على البعد المعرفي والبعد التداولي فحسب][1]، ومنه فسيمياء الأهواء تهتم بالبحث في الهوى الإنساني الذي يتجاوز فيه الفعل حدود المقبول،للبحث في الآثار المعنوية لتجلّي هذه الأهواء في الخطابات من خلال الظواهر المألوف التي تنتمي إلى الواقع المعيشي اليومي،كما يمكن أن تتجسد في صفات يتداولها الناس ويصنفون بعضهم بعضا استنادا إلى مُمكناتنا في الدلالة وفي التوقع الانفعالي، فالبخل والغيرة والحسد وغيرها من الصفات هي كيانات تعيش بيننا ضمن ما تحدده العتبات التي يقيمها المجتمع ،فالهوى ليس عارضا أو طارئا أو مضافا يمكن الاستغناء عنه أو التخلص منه بل هو جزء من كينونة الإنسان وجزء من أحكامه وتصنيفاته فالبعد العاطفي يلعب دورا فعالا في سيمياء الفعل "الحدث"إذ يعمل على توسيع فضاء علاقة الصلة في مركز البرنامج السردي، كما يتوقف عند سير برامج الحدث، وذلك من خلال إعطاء فضاء جديد للدلالات .

ب – معاني الأهواء عند القدامى والمحدثين :

لقد شغلت الأهواء كل من الفلاسفة والأدباء وعلماء الأخلاق ،وذلك لامتلاكها الدور الفعال الذي يعمد إلى إثارة البهجة أو الحزن ،إحداث الأزمات أو تفاديها ،القيام بشحذ أو تقوية إرادة المرء

([1]) ينظر: ألجيرداس غريماس، جاك فونتاني : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس ، تر : سعيد بنكراد ، ط1 ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، 2010 ، ص 74 « بتصرف » .

أو تعطيلها ، وفي هذا الصدد نجدها (الأهواء) حاملة لعُدَّةٍ مفاهيمية مختلفة في طياتها من طور إلى آخر ، من زمن إلى زمن ، من أديب إلى أديب ، ومن ناقد إلى آخر ، ومن بين هذه المعاني نجد :

أولا : في المعاجم والقواميس العربية :

نجد في القواميس العربية تعدد المعاني بالرغم من أن اللفظ واحد ، ومن أمثلة ذلك ما نجده في المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته على النحو التالي :

«هوى / استهوى . استهوى : استهوته استهواء ، ج (هوى) ، أي أغواه وأضلّه ، وجاء في محكم تنزيله قوله تعالى : ﴿**كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران**﴾[1]، جاءت هذه اللفظة بمعنى الإضلال .هوي / هَوَى يهوي : تَهوِي ، تَهْوَى ،ج (هَوَيَ) : تميل وتَحِنُ »[2]. يقول تعالى : ﴿**فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم** ﴾[3]،ففي الآية الأولى جاءت بمعنى الضلالة ، أما في الآية الثانية فلقد نَحَتْ منحى مخالف تماما فجاءت تحت ما يعرف بالميل والحنين أمّا في القاموس المحيط فنجدها جاءت حاملة لعُدَّة مفاهيمية مفادها مايلي : يقال : « (هوى) فلان فلانا – هوى : أحبّه ، فهو هَوٍ ، وهي هَوِيَةٌ .(أهوى) الشيء : سقط . وَ – فلان بالشيء: أومأ به، وَ – فلان بيده للشيء : مدَّها ، وَ – يده للشيء : امتدت.و – العقابُ للصيد : انْقَضَتْ عليه فَأَرَاغَتْهُ . وَ – الشيء : ألقاه من فوق .وفلانا : ضربه باليد وتناوله . (هَاوَى) سار سيراً شديدًا . وفلانًا : لَاحَهُ. وَ – داراه وسار على هَوَاهُ .ويقال : هاوأَه أيضًا . (هَوى) المكان : أدخل إليه الهواء النقي . (استهوى)الشيء فلانا: أعجبه وشغلَ هواه.(الهوى):الميل،العشق، ويكون في الخير والشر»[4].(الهوى) : النفس المائلة إلى الشهوة،وفي التنزيل الحكيم قوله عزَّ من قال : ﴿**أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه** ﴾[5]،لقد جاءت لفظة أهواء حاملة لفيض الدلالات المختلفة: فتارة يُقصد بها الضلالة ، وتارة أخرى، الميل والعشق، الحب، الحنين، ويكون الهوى في الخير والشر .

([1]) سورة الأنعام (الآية 71).

([2]) أحمد مختار عمر : المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته ، ط1 ، مؤسسة سطور المعرفة ، الرياض،السعودية، 2002 ، ص1156 .

([3]) سورة إبراهيم (الآية 37) .

([4]) إبراهيم مصطفى آخرون : قاموس الوسيط ، تح : مجمع اللغة العربية ، ص 1001 .

([5]) سورة الجاثية (الآية23).

ثانيا: معاني الأهواء في علم النفس الحديث :

تُستخلص معاني الأهواء في الملفوظ السردي كعلامة دالة ومؤشر على وجود جانب شعوري نفسي مكون للذات و« تكون هذه العلامة أداتنا في الكشف الناطق في النفس البشرية والتي لا تُرى بالعين المجردة ، فالمرء منها هو تجلٍ يكشف عن وجود انفعالية بلا هوية ولا حدود ولا معنى ، فالإحساس سابق في الوجود على التجلي الدلالي السابق على أي تمفصل سيميائي ، وهو بذلك يولد خارج حدود الخطاب (...)، إنّ هذا الإحساس لا يمكن أن يصبح مرئيا إلا من خلال تجزئته وتحويله إلى وحدات للعزل والتمييز، فهي ما يطلق عليه في اللغة العادية:(الهَوَى ، الاستعداد ، الشعور ، الميل ، الحب ، الكراهية)»[1]،ومن هنا نستطيع القول بأن الأداة المثالية للكشف عن الحالة الشعورية الكامنة في النفس الإنسانية هي العلامة ، والدليل المقدم القول بأن : الإحساس سابق عن الوجود ، فشرطه الوحيد إخراجه إلى عالم الخطاب وتجزئته وتحويله إلى وحدات،والأهواء تختلف معانيها في اللغة العادية فهناك من يطلق عليها الهوى ، وهناك من يقول الشعور، في حين نجد من يربط الأهواء بمشاعر الحب أو الكره .ونلحظ في غالب الأحيان تداخلا بين الانفعال والعاطفة والإحساس والهوى.

G الإنفعال :

[حالة نفسية تحدث نتيجة لمثير خارجي أو داخلي يؤدي اضطرابات عامة ويُفَسَّرُ تَبَعًا لأشكاله وهي كالآتي :

- عنيفا ومؤقتا ، يكون سريع الظهور والزوال كالهيجانات مثل : الغضب ، الخوف.
- هادئ : ويدوم طويلا ويستحوذ على النفس ويصبح موجه للسلوكات كالعاطفة ألا وهي : الصداقة ، الحزن ، الحنان] [2].

([1]) سعيد بنكراد : السيميائيات النشأة والموضوع ، مج 35 ، العدد 03 ، مجلة عالم الفكر (السيميائيات) إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2007 ، ص 10 .

([2]) أنس شكشك : علم النفس العام ، القوى النفسية المعرفية ، والقوى النفسية المحركة للسلوك ، ط1 ، دار النهج للدراسات والنشر والتوزيع ، حلب ، سوريا ، 2008 ، ص 71 .

G **العاطفة :**

« انفعال هادئ يدخل النفس ببطءٍ وهدوء ثم مايلبث أن يستحوذ على النفس كلّها ويصبح موجها للسلوك »[1]وتؤثر هذه العاطفة سلبا وإيجابا في مختلف جوانب الحياة النفسية كالتفكير، التذكر، الاعتقاد ، المعاملة .

G **الشعور :**

« هو حدس الفرد لحياته الشخصية ويتضمن هذا التعريف المعرفة المباشرة للأشياء أي معرفتنا بالذات معرفة تتعلق بأحوال عالمنا الداخلي من فرح وحزن وتفكير وتصميم ، والشعور مرتبط بموضوعٍ، فما من شعور فارغ و أنّ الشعور ممتلئ بموضوع، فنحن لا نشعر بالفرح بمعزلٍ عما يثير فرحنا ، ولا بالغضب بمعزل عما يثير غضبنا »[2].

فالشعور حالة نفسية تنتاب الإنسان ، فهي حالة فردية كامنة في العالم الداخلي ويعبر عنها المرء بملفوظات دلالية حاملة لمعانٍ شتى ومختلفة في نفس الوقت مثلا الشعور بالفرحة يؤدي بنا في بعض الأحيان إلى البكاء ، وفي نفس الوقت عند تذوق المرارة والأسى ما على المرء إلا البكاء وذرف الدموع للتخلص من حدة الألم والوجع .

G **الهوى :**

يُعرف الهوى في علم النفس بالقول أنه : « الهوى عاطفة نمت على حساب غيرها من العواطف، فالهوى يجعلنا نرى كل شيء من خلاله »[3]. هو حالة نفسية تنمو على حساب حالات مشابهة لها فهو إحساس يجعل المرء يرى كل شيء ويُعرّفه كذلك بقوله : « هو دافع يُحرّك صاحبه ، وعاطفة لأنه انفعال " طويل الأمد" ، وهيجان لأن تأثيره عنيف وشديد وهو أكثر من ذلك ظاهرة نفسية كلية تُبدِّل من عالم الشخصية بأكملها كهوى البُخل والحب »[4].

([1]) أنس شكشك :علم النفس العام القوى النفسية و المعرفية و القوى النفسية المحركة للسلوك ، ص 77 .

([2]) م . ن ، ص 58 .

([3]) م . ن ، ص 80 .

([4]) م . ن ، ص 80 .

يدرس علم النفس حالات الشعور واللاشعور، وتدخل العاطفة ضمن الدراسات التي قام بها علماءالنفس،فهي حالة عاطفية نفسية،داخلية تكمن في الأعماق البشرية يعمل على تغيير الشخصية تغييرا جذريا ، فهي عاطفة تؤثر على الكيان الجسدي و المعنوي للإنسان .

ثالثا: الأهواء عند كل من غريماس وفونتاني :

يعتبر كل من غريماس وفونتاني من أهم ممثلي سيمياء الأهواء .إذ عملا جاهدين على إخراج السيمياء من حالة الأشياء إلى حالات النفس ،لقد كان اهتمام السيميائيين مُنحصرا على الهوى، إذ خصص "غريماس" دراسته لهوى الغضب ،واعتبر أنه يعمل على تكثيف البُنى الخطابية ،وقام بوضع مفردات معجمية تناسب لفظة الغضب على نحو:(الكآبة ، الحقد) ،واستخلص بدوره برنامجًا حكائيًا له مراحل عدّة ،ويُفضي برنامج الغضب إلى برنامج آخر يتعلق بالقيام بعملية الانتقام ، وهذا بدوره يتطلب من الغاضب التسلُح بجهة إمكان الفعل لإثبات ذاته وتَنحية الطرف الآخر. ومنه نستنتج اهتمام غريماس بالذات والحالة النفسية ، وفي نفس الوقت اهتم بالفعل في سيميائية العمل ؛ عدم إهمال كل من الطرفين " الفعل والعاطفة "، في حين نجد "فونتاني" في (قاموس العواطف الأدبية) يضع تعريف للأهواء إذ يقول: «... بدأنا نُفرق الانفعالات والأحاسيس والعواطف كما نفعل اليوم: الانفعالات مرتبطة بالانطباعات بالأمزجة، بحالات النفس ،الأحاسيس تبدو أكثر قوة،أكثر خصوصية وأكثر ثباتا ،العواطف مرتبطة بالرهاب (Phobies) ،بالهوى (Manies)، بالهواجس (Obsessions) ،بالإدمان (Addictions) ، نُعرِّف الانفعال كالاهتزاز للنفس (psych)، والذي يحدث اضطرابًا مؤقتًا ، مصحوبًا بآليات بدائية تصل إلى فقدان التحكم في السلوك ، ويظهر عبر انفجار أو انهيار العاطفة بالمقابل تستقر في المُدَّة ، حتى وإن كانت عابرة ، وتُحدِّد تصرفًا نشيطًا بقوة، وتُميز أسلوب شخصية ما مركزةً على موضوع ثابت ، والذي يمكن أن يكون شخصًا ، قيمة، شيء من العالم »[1].إنّ للأهواء عدة معاني مختلفة سواء أكان ذلك عند القدامى أو المحدثين ، وفي المعاجم والقواميس نستنتج أن الأهواء : يُقصد بها الضلالة ، الحب ، الحنين ، وفي علم النفس حالة

---

(1) Elisabeath Rallo Ditc – Jacques Fontanille – Patrizia Lombardo : Dictionnaire des Passions Littéraires , p 08 .

نقلا عن: بشار سعيدة : سيمياء الانتماء في رواية : (الانطباع الأخير) ، (مذكّرة ماجستير) ، إشراف : (آمنة بلعلى) ، جامعة مولود معمري ، جامعة تيزي وزو ، تيزي وزو ، الجزائر ، ص 15 .

شعورية نابعة من الذات وأعماق البشرية ، فهي حالة منفردة خاصة بالشخصية الواحدة ومعبرة عنها، وفي الوقت نفسه تستطيع هذه العاطفة ، أو الحالة الشعورية التغيير في الشخصية بشكل جذري .

أو هي مجموعة من الاضطرابات والأحاسيس التي تختلج عمق الإنسان لدرجة الوصول إلى عدم القدرة في التحكم في السلوك وقاما بوضع فروقات رئيسية بين الانفعالات، الأحاسيس، العاطفة، فلكل مصطلح تعريفاته الخاصة ، ومميزاته الأساسية .

ج – **مبادئ سيميائية الأهواء** :

ترتكز سيمياء الأهواء على مبدأين أساسيين هما :

أوّلا– الشدة : " Intensité " :

« تعدّ الشدة من الجانب اللساني متغيراً يظهر عند التقييم ، وهو من الأنواع الصيغيّة التلفظية "Modalisation énonciative " ، وذلك حين يتوجّب على ذات التلفُّظ Sujet de l' énonciation أن تصدر رأيًا بخصوص حدث ما ، مقيّم سلبيا، مثلا أن تعتبره إما حادثا أو كارثة ، بحسب شدّة الاهتمام التي تمنحها لهذا الحدث المحزن »[1]. فالشدة عبارة عن تحديدات صيغيّة تمثلها أفعال تلفُظّية تصدر آراء حول الأحداث ، فمثلا تحكم على حدث محزن وطبيعته من حيث هو حادثا أو كارثة .كما يمكن اعتبار الشدة العاطفية على أنّها :« خاصية من خصائص المزاج "Phorie "،حيث أنّها تقوم إضافة إلى توجيه تدفُق الإهتمام بالمساهمة في اعادة تنظيم المكونات التركيبية ، وجعلها المتحكمة والمُسيِّرة للجانب الدلالي من السلسلة ،فتكون الكفاءات هي التي تؤسس لما يسمّى بالهُويّة العاطفية »[2]فترتبط الشدة ارتباطا وثيقا بالجانب اللساني ،كما تعتبر خاصية من خصائص المزاج ، تكمن وظيفتها في إعادة تنظيم المكونات التركيبية وربطها بالجانب الدلالي .

ثانيا– الكميّة: Quantité:

فالكمية مبدأ أساسي من مبادئ سيمياء الأهواء ، فنجد لها عدة اعتبارات حيث :« اعتبرها التمثيل اليومي للشعور على أنّها شدّة وطاقة غير متحكّم فيهما،وتم إهمال جانب الكمّ والامتداد ، فمثلا لا يعود الفرق بين **الشحّ والتقتير** إلى الشدّة فقط، بل إلى حجمها وكميتها ، فالكمية إذن

(1) Jacques Fontaille : Sémiotique du Discours , P200 , 201 .
نقلا عن : عمي لندة : سيمياء العواطف في قصيدة " أراك عصيّ الدمع لأبي فراس الحمداني " (مذكرة ماجستير) ، ص 19 .
(2) م، ن، ص200 ، ص201

تتعلّق بمجموع الإجراء العاطفي،وهي تابعة للذات وللموضوع كذلك،إضافة إلى الانتشار في الفضاء والزمن ، ويمكن للعارض العاطفي للكمية أن يتخذ عدة أشكال: إنّ في حالة انتشار الفضاء الزمني يقاس الامتداد فقط أي المسافة والمدة ، واجتماع المقاس والعدد يعطي ما يسمى بالأوزان العاطفية ، أما في حالة الموضوع فالمقاس هو المراد ، وذلك لأجل تحديد قيمة الموضوع »[1] .

2 – المتن الحكائي :

أ– قراءة في رواية" أحلام نازفة " ل :هيفاء بيطار[G]

تعالج رواية «أحلام نازفة» للروائية «هيفاء بيطار» بعضا من الأحداث اليومية التي تصاحب الإنسان العربي ، فهي تصور الواقع البشع والأليم الذي آل إليه المرء ، والذي يدفعه إلى الوقوف أمام تساؤلات تمسه بالدرجة الأولى ، منها : لماذا أصبحت قيم الحياة مادية إلى درجة أنها أعدمت الضمير، فصارت صفة الخساسة والبشاعة شجاعة ، والحقارة رجولة ، والثقة بالنفس غباء ، وأصبح شعار استمرار الحياة: انهب واهرب فذاك معيار النجاح ؟

في هذه الرواية نجد الكاتبة والروائية السورية «هيفاء بيطار» تستدرج أحداث الرواية ، وتسرد على لسان شخصياتها حال أولئك الضحايا المستضعفين ، ضحايا الإرهاب الماكر الخادع الذي يمتلك كل أساليب القسوة والخساسة ، الذي يستعمل كل أنواع الحيل وأشكال الخُدع لاستمالة ضحاياهم أولئك الضعفاء البسطاء ، فنجدهم في هذه الرواية يتوددون إليهم لإستثمار أموالهم ثم نهبها.

ومن بين الذين وقع عليهم فعل الفاعل ،أو عملية النصب والاحتيال في الرواية "أبو سليم"؛شيخ ذو خبرة وصاحب ثلاث وثمانين سنة، كان يتاجر ويمارس مهنته الشريفة ويتحصل من خلالها على

---

(1) Jacques Fontaille : Sémiotique du Discours , P202 , 206.

نقلا عن : عمي لندة : سيمياء العواطف في قصيدة " أراك عصيّ الدمع لأبي فراس الحمداني " (مذكرة ماجستير) ، ص 19

* هيفاء بيطار : روائية سورية وكاتبة مقالات نقدية واجتماعية ، ولدت في 1960 في مدينة اللاذقية ، من أبوين متعلمين ، تلقت تعليمها الأولي في مدارس اللاذقية ، ثم دخلت كلية الطب البشري في جامعة تشرين باللاذقية ، تخرجت في 1982 ، تخصصت في أمراض العيون ، ثم عادت إلى مسقط رأسها لتمارس عملها كطبيبة ، كتبت القصص القصيرة والروايات والدراسات النقدية و المقالات الاجتماعية ، نالت جائزة الشاعر أبي القاسم الشابي عن مجموعتها " الساقطة " القصصية من مؤلفاتها الرواية " هوى " في 2007 .

أرباح طائلة بنزاهة « فالأب العجوز كان سعيدا لأنه يتاجر ويجني أرباحا فاحشة ، ويوظف ثروته جيدا مع إسكندر ، الشاب الذي وثق به ثقة مطلقة ائتمنه على أمواله...».[1] ليتسلّل الطمع والجشع إلى قلب "إسكندر" فيقوم بسرقة هذا العجوز والهرب ، وبوصول خبر فراره إلى "سليم" لم يستوعب هذه الحادثة الفضيعة التي أصابت والده العجوز وبالتالي أصابته هو، صُدم من هول الكارثة، ووجد الحقد طريقة إلى قلبه، الحقد الذي جعله يشن هجوما عنيفا على والده على شكل صراخ هستيري وصوت أشبه بجعير يعلو ويعلو، وكأنه بهذا يختبر قدره أبيه العجوز على التحمل ، دون رحمة وكانت نبرات صوته الحادة الموجهة كخنجر ينغرس في قلب الأب الذي « كان طلبه للرحمة مؤثرا، إنه يتسول شيئا من رحمة ، وقام قاصدا الحمام، ياه كيف تبدلت مشيته في الحال ،كان يمشي مفعما بآلامه، حاملا هزيمته العملاقة على كتفيه المقوسين ،خطواته مضطربة ومشيته مترنحة ، احتاج أن يتوقف ويستند إلى الباب ، كأنه يخشى السقوط »[2] لقد أصيب سليم بانهيار أدى به إلى النقمة على والده وهو يحس بالقهر والألم، فالحياة عند "إسكندر" النصاب مبنية أساسا على ثنائية هامة سارق ومسروق ،قدره أن يكون سارقا وقدر أبي سليم أن يكون مسروقا ، فحبه للمال وتفكيره وجشعه جعله أعمى إلى درجة أنه سرق من وثق به وعامله معاملة الأب لابنه. ومن بين ضحاياه أيضا "سعاد" الأرملة الفقيرة التي توفي زوجها وترك لها ثلاثة أبناء ، عليها أن تعيلهم وتهتم بهم وما من سند لها في مهمتها الصعبة ، فهي لا تملك العلم ولا الصنعة ولا الجاه ولا المال " كل ما نفهمه ، وما علمونا، وما علمته سعاد عن الزواج هو أن تهب المرأة جسدها لزوجها كلما رغب بذلك »[3] .

لقد قسّمت "سعاد" حياتها إلى مرحلتين : ما قبل وفاة زوجها ، وبعد وفاته حيث كان همها الوحيد تأمين الحاجيات المادية ، ويظهر من خلال الرواية أن حياة سعاد كان متعبة ، حيث أنها كانت لا تطيق زوجها ، ولكنها لا تجرؤ على الاعتراف بأنها لا ترغبه ، ولم يخطر ببالها أن ترفضه حتى بينها وبين نفسها.

كما سلّطت الرواية الأضواء في روايتها على قضية الفروقات الطبقية ،هذه الطبقات التي وضعت الحدود الفاصلة بين الغني والفقير ،وأصبحت الطبقة الوسطى التي تعبر عن التوازن وصمام أمان

([1]) هيفاء بيطار:أحلام نازفة (رواية)، ط 1 ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، بيروت ، لبنان ، 2010 ، ص 10.

([2]) الرواية ، ص 11 .

([3]) الرواية، ص 30

للاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي منعدمة ، وهذا التفريق والعنصرية هو سبب تحطم "جميل"ابن"سعاد" المراهق ماديا ومعنويا ، حيث جعله الواقع الظالم يشعر بالحقد والكره على الأغنياء ، ولكن أمه سعاد تقف لجانبه محاولة تهدئته ، ولكنها لم تكن تعي السبب الرئيسي لكرهه للأغنياء إلى درجة أنه أصبح يعوي مثل الكلاب ، ويتمنى الموت .

سردت «هيفاء بيطار» حياة البطلة "سعاد" بكل تفاصيلها ووقفت عند أهم منعطفات المجتمع الراهن: (القوي يأكل الضعيف) وهي من المحطات التي وقفت عندها الروائية في عملها الروائي هذا ، وهذه من المقولات والقضايا المهمة في عصر الضعف والخساسة والمرارة.

الرواية تنبيه إلى الثغرات والأخطاء التي يعاني منها المجتمع العربي ،وإعادة بناء الشخصية الإنسانية بشكل جديد ، يحترم فيه الإنسان كقيمة أعلى في الوجود ، وبأن المال هو مجرد وسيلة فقط، وليس هدفا لهذا الوجود.

تتوالى الأحداث وتستمر حيث ينهي"سليم" تفكيره بالمقولة السائدة والرائجة القائلة: " العين بالعين والسن بالسن " وكان هدفه و غايته من هذه المقولة قصته المشهورة ، قصة حبه لجنان ، "جنان" محبوبته الفقيرة ، المعوزة ،المريضة بالسرطان المتألمة بالحياة ، لقد ماتت "جنان"، ورغم هذه الحقيقة المرة نجد "سليم" استجمع كل قواه ، كما يمكن أن نعتبر موت "جنان" العامل الذي أخرج "سليم" من بوتقة الظلام الداكن إلى النور ، النور عند "سليم" هو الانتقام من كل المسؤولين وتشويه سمعتهم . فقد لمع اسمه في مجال الصحافة وشعاره هو: الانتقام ، وتميزت مقالاته بحرارة الصدق وشجاعة المواجهة ورشاقة الأسلوب .

ومن الشخصيات البارزة في الرواية نجد "وديعة" المرأة الكادحة ، وإحدى ضحايا "إسكندر "، خادمة في الكنيسة، قام باستغلالها ونجح في الإيقاع بها بعد إيهامها أنه سيساعدها في مرضها ، من خلال تجارة الألبسة الرابحة، وقعت "وديعة" كما وقع كل الضحايا قبلها في حيل "إسكندر"، واختفى اللص حاملا معه نصف مليون من المرأة المسكينة ، في البداية قلقت صاحبة النية الصادقة على غيابه الطويل،لتصعق بخبر أنها وقعت في فخ نصاب،شعرت بالذعر والذهول والهلع لما وقع لها ، لقد أصيبت بصدمة عنيفة لولا إيمانها القوي بأن اليسوع هو الوحيد الذي يجذبها للحياة ، كيف لم تدرك حكمة الله من كل ما حصل، كيف خطر لها للحظة أن تقع في فخ الألم والقهر والحقد والرغبة بالانتقام من نصَّابٍ حقير « لكن الصراخ والجعجعة والأحاديث المطولة عن سفالة إسكندر وكيف

استطاع أن يسرق امرأة وحيدة وفقيرة مثل وديعة حلاّق ، ظل بلا معنى فلا يوجد أي دليل أن تلك المرأة أعطته المال ، إنها لا تعرف شيئا عن سندات الأمانة أو الأوراق الرسمية ، لكن ما لن تعرفه وديعة أن صوتها سيكون بمثابة الشرارة التي اندلعت لبداية طريق الانتقام من إسكندر»[1] .

ونجد "رياض" الذي جعلته الخسارة والخدعة يشعر بالخذلان ، لقد خذل زوجته التي وثقت به ، امتلأ قلبه حقدا وكرها ، وبغضا وألما ، حزنا وغضبا ، قهرا وخسارة ، فما السبيل لاسترجاع المكانة يا "رياض" ، ما الطريقة التي بها يستطيع استرجاع ما أُخذ منه ؟ هي طريقة واحدة ووحيدة الانتقام حتى الموت .

كما أن "جميل" مرض مرضا نفسيا إلى درجة أن جسده أصبح مشحونا بالرغبات الهائجة التي يستحيل ضبطها ، فهي تستعبد روحه وتمتطي جسده ، والسبب في دخوله هذا العالم الغريب عالم (الانفصام) هو الشذوذ الجنسي الذي علّمه إياه "إسكندر" الذي يقوم باستغلال الأطفال المراهقين ويصحبهم إلى شاليه على البحر يملكه صهره.

وبالرغم من حقد "سليم" على والده الأستاذ "نجيب" وكرهه له ، إلا أنه ندم ندما شديدا عما صدر منه « من يفهم لغته " لغة الحزن والألم " ، فمن يفهم حزن قلبه ، يمكنه بسهولة أن يفهم حزن قلوب المبتلين مثله»[2] فهم "سليم"سبب حزن وألم "جميل" وأشفق على حالته، إلا أن تفكيره الشيطاني أعمى بصيرته ، فاستغل الظرف وفكر في وضع خطة للانتقام من "إسكندر" عن طريق "جميل" باستغلال نقطة ضعفه المتمثلة في حبه اللامحدود لابن أخته الذي لم يتجاوز الأربع سنوات « لكن هل ستقتله بيديك ؟ أم بيد شخص آخر ، شخص منهار ومدمر، مريض، قاصر، شخص لديه عشرات التقارير الطبية تثبت مرضه النفسي ومحاولاته للانتحار...شخص ضاعت روحه في عتمات العُصاب والاكتئاب »[3] نجح "سليم"في تخطيطه، وبالفعل "جميل" قتل ابن أخت "إسكندر". الرواية خليط من المشاعر المتشابكة المعذبة، الحزينة ، تتجرع الألم في كل صفحة بل يمتلك الحزن ليستولي على القارئ فتصبح أشد ألما من أبطال الرواية نفسها ، جرعات الألم الحادة في هذه الرواية

([1]) الرواية، ص 134 .

([2]) الرواية، ص 192 .

([3]) الرواية، ص 205 .

تنبعث من كون "إسكندر" النصاب، المحتال ،لم يسرق المال فقط، إنما استولى وسرق ونهب الحب والأمل في الحياة، لقد قضى على الأحلام فتلونت الأرواح والنفوس بالحقد والكراهية.

ب) الرؤية الداخلية وتشغيل ضمير المتكلم :

من أهم مكونات الخطاب الأدبي الرؤية السردية (La Vision Narrative) التي استحوذت على أهمية كبيرة في الدراسات النقدية المخصصة للرواية، وهي تعد من أهم المشكلات إثارة للاهتمام من قبل البويطقيين.

– تعريف الرؤية :

يعرف (تزفتان تودوروف) الرؤية بقوله: [الكيفية التي يتم بها إدراك القصة من طرف السارد][1].
و يُعَرَّفُ الراوي بأنه « الشخص الذي يروي القصة (...) وهو الذي يأخذ على عاتقه سرد الحوادث ووصف الأماكن،وتقديم الشخصيات، ونقل كلامها، والتعبير عن أفكارها ومشاعرها وأحاسيسها»[2].

في حين تُعنى الرؤية ب « الطريقة التي اعتبر بها الراوي الأحداث عند تقديمها (...) فتتجسد من خلال منظور الراوي لمادة القصة ، فهي تخضع لإرادته ولموقفه الفكري ، وهو يُحدد بواسطتها؛ أي بميزاتها الخاصة التي تحدد طبيعة الراوي التي يقف خلفها »[3].ومن هنا نستنتج أن الرؤية والراوي عنصران متداخلان ، إذ لا يمكن لأحدهما الانفصال عن الآخر.

لقد ظهرت مجموعة من التصنيفات للرؤية ، ولكنها تحددت بفضل الجهود الفرنسية ، ومن بين الذين ساهموا في تحديد هذه التصنيفات بدقة نجد **جان بويون** " **J . Pouillon** " في كتابه " الزمن والرواية "، وتزفيتان تودوروف" في مقولات السرد الأدبي " ، لقد حصروا أشكال تمظهر هذه الرُؤى الثلاثة في :

* **الرؤية من الخلف** : (**Vision Par Derriere**)

([1]) تزفيتان تودوروف : مقولات السرد الأدبي "طرائق تحليل السرد الأدبي" ، تر: الحسين سحبان وفؤاد صفا، ط1 ، منشورات اتحاد الكتاب المغربي ، الرباط ، المغرب، 1992، ص 61.

([2]) السيد إبراهيم : " نظرية الرواية "، دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة ، د.ط ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 1998، ص 170 .

([3]) يمنى العيد : تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، ط1 ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، 1990 ، ص 61 .

أي السارد > الشخصية الروائية، تستخدم عادة في الروايات الكلاسيكية، وفيها يكون السارد أكبر معرفة من الشخصية الروائية، يستطيع معرفة ما يجري خلف الجدران (**السرد الموضوعي**).

* **الرؤية مع** (**Vision Avec**) :

السارد = الشخصية الروائية، أي السارد يعرف قدر ما تعرف الشخصية الروائية ، لا تهدم تفسيرات إلا بعد أن تكون الشخصية نفسها قد توصلت إليها ، ويمكن أن يسرد هذا النوع بضميري المتكلم أو الغائب، لكن مع إبقاء المساواة المعرفية بين الراوي وشخوصه (**السرد الذاتي**).

* **الرؤية من الخارج** : (**Vision Du Dehors**)

يكون السارد أقل معرفة من أي شخصية من الشخصيات الروائية ، قد يصف لنا ما نراه فقط أو ما سمعه ...إلخ.

ومن هنا نستنتج أن الهدف الذي يرمي إليه النقاد من وراء مصطلح الرؤية هو الكشف عن الطريقة التي تُدرك بها الحكاية من قبل الراوي،و بعبارة تودوروف:

وتنعكس « العلاقة بين ضمير الغائب (هو) " il " (في القصة) ، وبين ضمير المتكلم (أنا) Je (في الخطاب) ; أي العلاقة بين الشخصية الروائية وبين السارد »[1]، والشيء نفسه « يصدق على السرد وأفعاله وأساليبه، (فالأنا) و(الهو) وكل الضمائر الصالحة لنقل تجربة حياتية ما تشكل بؤراً للأحكام والمُسبقات،أو هي الأدوات التي تسرب من خلالها الثقافة أحكامها وتصنيفاتها ومواقفها. فلا يمكن استعمال (الأنا)، دون الإنخراط في تصنيف ورؤية يحددان للأحداث مآلاً لا يمكن أبدا أن يكون مرئيا بالقوة والوضوح نفسها من خلال ال (هو) الغائب »[2].

كما نجد فرويد يُشير: « وهو يحاول التسلل إلى مساحات الوجود الإنساني الأكثر حساسية ، لمحاولة ضبط أصوله الانفعالية الأولى ، بعيدا عن التحديدات الإضافية التي جاء بها (التمدّن و التحضُّر) ،والثقافة ، إلا أنَّ هناك منطقة بين الذات والعالم سابقة في الوجود على الوجود على المفصلة اللغوية . وتتحدد العوالم (الداخلية والخارجية) ضمنها من خلال أحاسيس أولية شبيهة بالمثيرات الحسية الغامضة ، ويطلق عليها (مرحلة الفعل): (في البدء كان الفعل) ، والمراد بالفعل

([1]) تزفيتان تودوروف: مقولات في السرد الأدبي " طرائق تحليل السرد الأدبي" ، ص 58 ،ص 59 .

([2]) سعيد بنكراد:السرد الروائي وتجربة المعنى ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2008 ، ص 200.

في هذا السياق بالذات حالة تماس مع العالم الخارجي بعيدا عن(التوجيهات) الأولية للغة وتحديداتها المسبقة المُتجسّدة في حالات العزل والفصل والتصنيف. (ففي هذه المرحلة يتحدّد الخارج باعتباره إسقاطا للداخل ،الذي لا نعرف عليه سوى تجربتين : تجربة الألم وتجربة اللذة ، إنّه عالم خارجي مبني على شاكلة الداخل ،ومصنوع فقط من هاتين التجربتين »[1].وفي هذا الصدد؛ نجد الذات الروائية تكشف عن نفسها ،من خلال استقطاب ثنائي حادّ قائم على النبذ (الكره ، السخط ، الغضب ، الحقد)، والجذب (الرفاهية ، الثراء الفاحش...)، الحسيّين ضمن حالة انفعالية أوليّة تتميز بتمفْصل بسيط هو في المقام الأول استجابة لمثيرات فيزيولوجية« لماذا تتكالب علينا المصائب ؟ »[2]. فمشاعر "سليم" جعلته ينفعل ويتذمر مما أدى إلى طلب والده الرحمة منه «كفى ، كفى ، ارحمني »[3]. فهنا تبرز الأنا الحاقدة "سليم" الضعيفة ، حيث نجد الروائية تنبذ الواقع (واقع المادة)، من خلال شخصية "سليم" الذي وجد نفسه ضحية لواقع مرير قائم على النصب والاحتيال، وقد عاش حالة صراع حاد، خسارته للمال أوقعته في صدمة كبيرة ، وتمنيه لموت أبيه ،خسارة ثانية ، لم يعرف ما يدور حوله ، وعلى هذا الأساس فإن مصدر الاستثارة هو ما يأتي من المثيرات الخارجية (حب المال و الخروج من الواقع المهين الذي يعيشه) ، أما السيرورة الداخلية النفسية النفسية فنحن لا ننتبه إليها إلا من خلال الأحاسيس، فإسكندر يشعر بالفرح لانتصاره ، وسليم يشعر بالنبذ والحقد للخسارة .

وفي موضع آخر نجدها تتكلم على لسان العجوز قائلة :« ضميني إلى صدرك الحنون، خذيني في حضنك أرجوك »[4].

إنّ روح الأستاذ "نجيب" معذبة تائهة، فهو يحن إلى العاطفة والحنان ويتمنى أن يضمه ابنه إلى صدره ، ويغمره بالعطف والحنان ، ويخرجه من الحالة النفسية المستعصية التي وقع فيها، فهو يشعر بالكآبة والحقارة من الفعل الشنيع التي قام بها، فالروائية هنا أكثر معرفة من الشخصيات الروائية ، فهي تحكي وتسرد على لسان شخصياتها من خلال استعمال ضمير المتكلم "أنا"« تعالي يا أمي

(1) سعيد بنكراد:السرد الروائي وتجربة المعنى ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2008 ، ص 137 .
(2) الرواية، ص 07 .
(3) الرواية، ص 11.
(4) الرواية ، ص 14 .

خلصيني من العذاب »[1].حالة النبذ والحقد والكره ، تظهر عند سليم فهو يطلب من روح أمه أن تخلصه وتخرجه من المتاهات التي وقع فيها ، فالعذاب النفسي الذي يعيشه سليم ، عذاب الروح المتمزقة التي لم تعد تعرف عن نفسها أي شيء ، فهي تعيش حالة اضطراب نفسي وعقلي « أتظاهر أنني غير عارف ما يدور في قلبك وعقلك ، أتظاهر أنني صرت متلبد الأحاسيس أبله ، وأحاول أن أتناسى أني سمعتك تقول لصديقك : ليته مات قبل أن يُلحق بي هذه المصيبة »[2]، فطبيعة الواقع الاجتماعي المتمثلة في وجود الفوارق الطبقية بين الفئات و انحلال الأخلاق وانتفاء الضمير، ولّدت في النفوس شحنات سلبية من بغض وحقد وسفالة ، وأمراض نفسية (الشذوذ ، الانفصام) ، والتي غالبا ما كانت تنتهي نهايات مأساوية ،ويقول "سليم" « أنا أسوأ منه لأنني قنّعت الشر في نفسي»[3]، فالذات تلوم نفسها دائما بخروجها عن الفطرة السليمة الخيّرة.

تنتقل «هيفاء بيطار» لترصد لنا ظاهرة اجتماعية تأتت جراء الأفعال الإجرامية واللصوصية التي سادت في(زمن المال)، ألا وهي ظاهرة الفقر والتي مثلتها شخصية "سعاد" التي انتهى بها الأمر للكدح والشقاء والمعاناة والتضحية من أجل تأمين حاجيات أبنائها « أنا منهارة من التعب »[4]، رغم التعب إلا أنها تخفي هذا الشعور غير معترفة بعه لغيرها .

« أنا لا أطعم أولادي من المال الحرام »[5]، حالة "سعاد" المأسوية لم تجعلها تسلك سلوك المجرمين «ألطم وجهي وصدري يا جميل وأنا أصرخ باسمك، تنحدر روحي إلى عتمات الجحيم ، أشعر أنني أتفكك قطعة قطعة »[6]،وتمتلك سعاد قوة إيمان هائلة فبالرغم من الشقاء والتعب ،إلا أنها ضحت بالنفس والنفيس لإعالة أبنائها ، إلى درجة أنها لم تعد تعطي لنفسها أية اهتمام ، وحالة ابنها جميل جعلتها مصعوقة تائهة حائرة ، تجوب كل المطاعم والفنادق لتلبي حاجياتهم « يا للمرارة التي أحسها

([1]) الرواية، ص 16 .
([2]) الرواية ، ص 100 .
([3]) الرواية ، ص 219 .
([4]) الرواية ، ص 23 .
([5]) الرواية ، ص 198 .
([6]) الرواية ، ص 218 .

يا ابني »[1]، الإنسان والواقع في الرواية مُوَحَّدان في انسجام لا نقصان فيه، ولا فواصل بين داخله وخارجه ، ولا مسافة بينهما، كما لو كانت العلاقات كلها جداول رائقة تصُّب في نهر حميم .

نتج عن هذه السلوكات اللاأخلاقية ،تراكم مجموعة من التصرفات اللاشعورية لتنتشر حالات من الكبت، الاكتئاب، الحزن والأسى، الاضطرابات العصبية.وكل هذه حسب وجهة نظر الروائية عواقب متوقعة لواقع مضطرب وغير متّزن ، ونلحظ هذا من خلال ردود فعل ضحايا "إسكندر" «أما كان باستطاعته أن يعفينا من هذه التجربة ، المرض النفسي لابني البكرا !»[2].كما نجد "نجيب" يتأوه لمصابه: «أحاول يا سليم أن أحتمي ببلادة ابتدعتها كي أخفف ألمي»[3]، متحملا لآلام تفوق طاقته وقدرته على التحمل.

إنّ روح الأستاذ "نجيب"معذّبة تائهة فهو يحنّ إلى العاطفة يتمنّى أن يضمّه ابنه إلى صدره ويغمره بالعطف و الحنان، و يخرجه من الحالة النفسية المستعصية التي وقع فيها فهو يشعر بالكآبة و الحقارة من الفعل الشنيع الذي قام به.

بالإضافة إلى شخص"سليم"الذي دخل حالة فصام مع أخلاقه وضميره ، « أنا البائس الذي أعيش الفصام مع الأخلاق والضمير»[4].ثم نجد الروائية «هيفاء بيطار»تضع حدًا للمهزلة التي أحدثها أحدثها "إسكندر" بالتوعد بالانتقام ومن ثمة القيام بفعل القتل الذي تجسد في شخصية المريض النفساني "جميل" تحت تأثير قوة ضاغطة "سليم" لكنني متأكد أنني سأنتفع لك ولكل المساكين »[5]،وقد تجسدت وجهة نظر الروائية «هيفاء بيطار» في هذه الرواية،وهذا من خلال عرضها للأحداث، واستدراج للعواطف المتأججة لدى الشخصيات الفاعلة والتي تساهم في استيعاب وإدراك الموضوع رويدا.

---

(1) الرواية ، ص 102 .

(2) الرواية، ص 26 .

(3) الرواية ، ص 100 .

(4) الرواية ، ص 221 .

(5) الرواية ، ص 160 .

ج) الراوي والشخصية وصناعة الحدث اليومي :

يمكن للعملية السردية أن تحاول الاختفاء إلى أقصى حد ممكن لصالح الحكاية؛ حينئذ سينسى القارئ وجود السارد، وسيشعر وكأنه إزاء سرد شفاف يعبره مباشرة ليجد نفسه داخل عالم الأحداث المستحضرة، سيشعر وكأن هذه الأحداث واقعية « إن قارئ هذا النص السردي سيجد نفسه تماما مع (الشخصيات)، ومع ذلك فإن سرية العملية السردية لا يمكن أن تؤدي إلى اختفائها، إن السرد لا يمكن أن يلغي نفسه... وحتى في حالة محكي يتكون حرفيا من حوارات بين الشخصيات ودون صيغة للإسناد (من نوع : قال)، يجب أن نقبل بوجود تلفظ أعلى ينقل إلينا هذه الحوارات، وهذه الحالة يُختزل السارد إلى مجرد فاعلية (تتحدث)، ولكن هذا لا يقلل من أهميته، إذ بدونه، ما كان المحكي ليصلنا. إنه الوسيط الضروري بيننا وبين عالم يعرفه هو ونجهله نحن »[1].

أوّلا– الراوي : " Narreter "

« الشخص الذي يروي القصة وهو الذي يأخذ على عاتقه سرد الحوادث ، ووصف الأماكن، وتقديم الشخصيات، ونقل كلامها والتعبير عن أفكارها ومشاعرها وأحاسيسها »[2]، فينحل فيما يرويه ليبدوا للقارئ وكأنه يعيش التجربة بأحداثها وتفاصيلها.

ثانيا– تعريف الشخصية الروائية :

ليست الشخصية الروائية وجودا واقعيا ،وإنما هي مفهوم تخييلي، تدل عليه التعبيرات المستخدمة في الرواية ، هكذا تتجسد الشخصية الروائية **– حسب بارت –** (**كائنات من ورق**) لتتخذ شكلا دالا من خلال اللغة ، وهي ليست أكثر من قضية لسانية حسب **تودوروف** ويعرفها فليب هامون " **Ph Hamon**" بقوله : « الشخصية الروائية هي تركيب يقوم به القارئ أكثر مما يقوم به النص ، فإن (**رولان بارت**) " **R .Barthes** " يعرف الشخصية بأنها نتاج عمل تأليفي .

فهي ليست (كائنا) جاهزا ، ولا (ذاتا) نفسية بل هي **– حسب التحليل البنيوي–** بمثابة دليل " Sign " له وجهان : أحدهما (الدال) " Signifiant " ، والآخر (مدلول)

---

[1] جيرار جينيت وآخرون : نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير ، تر : ناجي مصطفى ، ط 1 ، دار الخطابي للطباعة والنشر ، الدار البيضاء ، المغرب، 1989 ، ص 98 .

[2] عبد الله إبراهيم : المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة) ، ط 1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، 1990 ، ص 61 .

" Signifié " فتكون (الشخصية) بمثابة (دال) عندما تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها ، أما (الشخصية) (كمدلول) فهي مجموع ما يقال عنه بوساطة جمل متفرقة في النص أو بوساطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها ، وهكذا فإن صورتها لا تكتمل إلا عندما يكون النص الحكائي قد بلغ نهايته ولم يعد هناك شيء يقال ، ولها السبب لجأ بعض الباحثين إلى طريقته خاصة في تحديد هوية الشخصية الحكائية تعتمد محور القارئ ، لأنه هو الذي يكون بالتدريج وعبر القراءة — صورة عنها ، وذلك بوساطة مصادر إخبارية ثلاثة ، وهي :

- ما يُخبر به الراوي .
- ما تُخبر به الشخصيات ذاتها .
- ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات.

ويترتب عن هذا التصور أن تكون الشخصية الحكائية الواحدة متعددة،وذلك بحسب تعدد القراء واختلاف تحليلاتهم»[1].حيث يوضّحها بقوله:« وينبغي التمييز بين(الشخصية الروائية)، و(الشخص الروائي): فالأولى عامة لها قوانين وأنظمة تقننها وتقعدها،والثانية خاصة تعني شخصا معينا في رواية معينة ، له سماته الخاصة ، وصيفاته النفسية والجسمية المحددة.ومع ذلك فكلتاهما تتلامسان ، تلامس الخاص ضمن العام »[2].إذ تُقدم الشخصية الروائية بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة، فالأولى تكون عن طريق الوصف الجسدي،والنفسي للشخصية،أما فيما يخص الطريقة الثانية، نجد (الراوي) يمدنا بالمعلومات حول الشخصية بالشكل الذي يقرره الروائي ، إذ تبرز مهمته في إيضاح الشخصية التي يصنعها ، وكأنما هي شخصية محتملة و ذلك عن طريق استخدامه لضمائر الغائب ، هذا الأخير يسمح له باتخاذ مسافة مناسبة من الشخصية التي يقدمها ويبعده عن التداخل المباشر في السرد ، وهذا ما نجده طاغيا في رواية («أحلام نازفة») ل:«هيفاء بيطار»، حين تصف آلام العجوز بقولها:«...كل من ألم أكبر أن يعرف أن ابنه يكرهه ويتمنى موته ويعتبره نحسا ..»[3].كما استخدمت ضمير " الهو " للتعبير عن مرض جميل النفسي وآثاره على نفسيته :«كانت نوبة تنتهي عادة

([1]) محمد عزّام : شعريّة الخطاب السردي (دراسة) ، د.ط ، منشورات إتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، 2005 ، ص 09 ، ص 10 .

([2]) م.ن ، ص 09 .

([3]) الرواية، ص 12 .

بالانعزال لأيام في غرفته »[1].هذا الألم الذي أدى به إلى ارتكاب الجرائم وتدهورعواطفه. في قولها: «... أيعقل أن يصل به الزمن إلى حدّ صار التفكير في القتل طبيعي ، أيصدق مدى التدهور الوجداني والروحي الذي وصل إليه ! »[2].فنجد الروائية تمازج بين ضمائر متعددة ، حيث نستخدم تارة ضمائر المتكلم (أنا خائف ، وأن تنشله من هوة اليأس) ، للتعبير عن حالة ذاتية من اليأس والزجر التي تنتابها ، ولإيصالها للقارئ إعتمدت على شخصيات تجسد أفعال وأقوال تخدم نفسيتها ، وها ما دفعها إلى توظيف ضمائر الغائب (هو) رغبة منها في حصول التفاعل بين المتلقي وأفكارها الرافضة للواقع المعاش (**عصر المادة**).كما ساهمت هذه الضمائر في اتساق وانسجام النص الروائي باعتبارها أدوات نحوية منظمة،ومحددة للمصدر،هدفها صياغة الحقائق الاجتماعية والنفسية الموضوعة للتداول من خلال ملفوظات صادرة عن الشخصيات أو من خلال الإحالة على أفعال وسلوكات يقوم بها الفاعلون في النص الروائي، فجهات النظر التي تتحدث عنها السرديات مصدرها هذا التباين في الموقف من الحقائق الموضوعية منها والمخيالية ،وليست مجرد كشف عن الموت الذي يحكي أو العين التي ترى وتفصل .

ثالثا– العلاقة بين الراوي والشخصية الروائية :

يلعب كل من الراوي والشخصية الروائية الدور الفعال في بناء النصوص وتحريك الأحداث وفق بنية منسقة ومنظمة « إن أهمية الراوي بصفته عنصرا ليست سوى وظيفة (لعبة الفني) ضد هيمنة موقعه بصفته كاتبا ، ولئن كانت اللعبة الفنية في مثل هذه الممارسة فهي في وجهها الأبرز من حيث هو عنصر مهيمن ، يتقدم معاندا هيمنة موقعه »[3].وهذا يؤكد أن للراوي صلة وثيقة بالشخصية الروائية ، حتى وإن كان متواريا من الخلف ، فهو التي يصف تحركاتها و يبين وجهة نظره من خلالها ، فكلما اقترب الراوي من الشخصية كان دورها رئيسيا في الأحداث ، وكلما ابتعد عنها همش دورها في العا لم الروائي .

وقد ينظر الراوي بمنظار مجموعة من الشخصيات فيسمى "الراوي المتعدد" ففي رواية «أحلام نازفة» ل«هيفاء بيطار»، تبدّت شخصيات رئيسة (شخصية سليم ، شخصية سعاد ، شخصية

([1]) الرواية ، ص 27 .

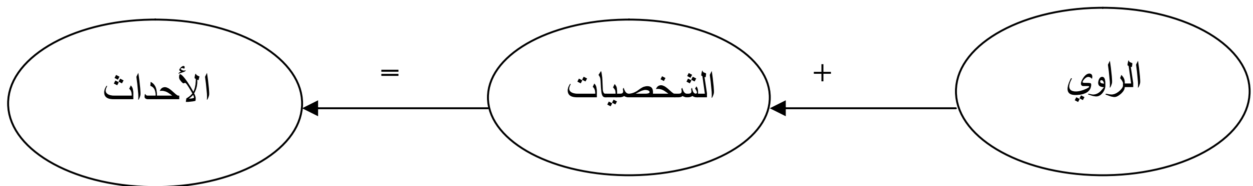
([2]) الرواية ، ص 215 .

([3]) يمنى العيد : تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج النبوي ،ص 188 .

إسكندر) بفضل قرب الروائية منها والذوبان فيها ، ومحاولة تتبع حركاتهم ، أما الشخصيات المتبقية فكانت ثانوية ولم تؤثر تأثيرا فعالا في سطور الحدث ، لأن الروائية همّشتها ولم تقترب منها كثيرا مثل (شخصية مصباح الضبع ، شخصية وديعة ، شخصية رياض) بل إن عددا من الروايات تقدم رؤيتها على أساس العلاقة بين الراوي والشخصية.

رابعا– الحدث : " Event "

إنّ النشاط السردي بما هو صياغة للفعل الإنساني ضمن اللغة ووفق إكراهات الضمائر النحوية ومرجعياتها الدلالية ، لا يشكل طريقة بريئة في عرض سلسلة من الأحداث المترابطة فيما بينها، فالحدث هو شيء وقع ولم يكن من الضروري أن يقع وهو « تغيير في الحالة يعبر عنه في الخطاب بواسطة ملفوظ فعل " Process Statement" في صيغة يفعل (يحدث) ،والحدث يمكن أن يكون فعلا أو عملا " Act" (عندما يحدث التغيير بفعل فاعل)،أو حادثة عرضية Happening (عندما لا يحدث التغيير بفعل فاعل) وتعد الأحداث events هي و " الكائنات ": المكونات الرئيسية للقصة»[1]،فالحدث عنصر مهم وأساسي في تشكيل البناء القصصي، لا قيمة له خارج وعي الشخصيات ومواقعها ، كما أنه لحظة عابرة في الزمان ، ولكنها حاسمة على مستوى المسار الحياتي لكل الشخصيات ، ومنه فمكانة الشخصية مرتبطة أساسا بوجود الراوي، الذي أنه كلما اقترب منها تحظى بالأهمية والعكس، كما أن الحدث يرتبط أساسا بوعي الشخصيات وحركاتها ، تتوضح العملية من خلال المخطط :



في الرواية التي بين أيدينا نجد الروائية «هيفاء بيطار» تسرد على لسان شخصياتها حقيقة هذا الواقع المرير ، واقع المادة ، واقع النصب والاحتيال ، شعاره " انهب واهرب" ، هذا الواقع الذي آل إليه العا لم العربي نتيجة مصادرة القيم والأخلاق ، ولكي ترصد لنا حقيقة ها الواقع الموحش، تجسدت

([1]) جيرالد برنس: قاموس السرديات ، تر : السيد إمام ، ط1 ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، مصر ، 2003 ، ص63 .

الوحشية في شخصية " إسكندر" النصاب الإرهابي الذي قام بفعل النصب والسرقة والاحتيال وخدعهم بكل مكر وسرية تامة ،وكانت غايتها المرجوة من عملها ها رسم صورة للعالم العربي وملامحه السائدة في عصرنا الراهن ، من تفشي لظواهر سلبية طغت على القلوب نذكر :" النصب ، الاحتيال ، اللصوصية ، الإرهاب ، الرشوة ، الطبقية ، حب المادة ، انعدام الثقة ، الانحلال الخلقي ، انتفاء الضمير..."، انجرت عنها مجموعة من السلوكات اللاشعورية :" الخوف، الأسى، الألم ، الحزن،الحقد ،الغضب، الضغينة ، الأمراض النفسية ، والعصبية ، الطمع ،الجشع ، انفصام الشخصية، الشذوذ الجنسي، الكدح "، مردها ضعف الإيمان وضعف الشخصية ،فهناك من يواجه هذا الواقع ومشاكله المستعصية ومظاهره الخبيثة بالتحدي والصمود والمواجهة ، ومن جهة أخرى نجد من يضعف ويستسلم لضغوطاته النفسية ومن ثمة يفسح المجال أمام الجريمة والفساد للشيوع والانتشار .

ث- الشخصيات البطلة والتقاط تفاصيل الحدث اليومي :

تختلف الشخصيات وتتعد بتعدد أفعالها ،فنجدها تتصارع مع أهوائها وعواطفها المتأججة ، وحواراتها اللامتناهية لتسهم في صناعة الحدث [فالشخصية كائن له سمات إنسانية ومنخرط في أفعال إنسانية . ويمكن أن تكون الشخصيات رئيسيّة أو ثانويّة ، ديناميكيّة أو إستاتيكيّة ،متّسقة أو غير متّسقة ، مُسطّحة أو مستديرة .كما يمكن تحديدها أيضا طبقا لأعمالها و أقوالها ومشاعرها ومظهرها ... إلخ ، وطبقا لاتساقها مع الأدوار المعيارية أو الأنماط ،أو طبقا لاتّفاقها مع مجالات مُحدّدة من الأفعال أو تجسيدها لبعض العوامل][1].هناك من قسّم الشخصية إلى رئيسية وثانوية ، طبقا لدرجة بروزها النصي،ونجد من يقسمها إلى ديناميكيّة واستاتيكية ،المقصود بالأولى حركية ،يطرأ عليها التبدُّل والثانية ساكنة وغير قابلة للتغيُّر ،في حين نجد من يُقسّمها إلى متّسقة عندما لا تتناقض صفاتها مع أعمالها تقابلها غير المتّسقة،أما عن التقسيم الأخير المتمثل في المسطحة والمستديرة ، فتعتبر الشخصية مسطحة إذا كانت بسيطة ولها بعدين أساسيين وسيمات جدُّ قليلة ، أما المستديرة نجدها معقدة يصعب الوصول إليها .

([1]) ينظر: جيرالد برنس : قاموس السرديات ، ص 30 « بتصرف ».

الشخصيات الرئيسية باعتبارها شخصيات بطلة وفاعلة في مسار الأحداث التي يمكن حصرها في الرواية متمثلة في :

– شخصيّة إسكندر :

شخصية مُحترفة في عا لم المكر والخداع ،عاش في أسرة فقيرة ومعدمة في زمن لا حياة فيه للضعفاء والمدقعون، فشل في مساره الدراسي ، وانتقل إلى الحياة العملية مع الأستاذ نجيب في التجارة، فكان يلاحظ ويُعجب بحياة الأستاذ وما فيها من ترف وغنى وهذا ما دفعه إلى الطمع والجشع ، والتفكير في حياة مشابهة لحياته ، فقد كان ينبذ ويقرف من حياته ، هو حياة الفقر والحاجة ، فاستعمل ذكاءه وفطنته وخبثه وحنكته للنصب والاحتيال على العجوز "نجيب" الذي وثق به ثقة عمياء فكان مصيره الوقوع في المصيدة ، وليس "نجيب" وحده من تذوق طعم المرارة على يد "إسكندر" ، فنجد أيضا : "سعاد" وابنها "جميل" و"وديعة" و"رياض" وبالتالي فقد مثّل الفعل أو الحدث الذي انبنت عليه الرواية:" فعل النصب والاحتيال " .

– شخصية سليم :

ابن الأستاذ "نجيب" كان يعيش حياة ترف وسعادة، غير مبالٍ بالمستقبل ، "سليم" المتواكل ، لم يخطر بباله ولو لبرهة أنه سيقع في شرك النصب والخديعة ، أُصيب بالانهيار وصُدم لحظة معرفته بإفلاس والده ، ونجاح "إسكندر" في سرقته ، سرقة الوالد وبالتالي ذهاب الثروة التي ينتظرها ، المستقبل الزاهر الذي توقّعه ، حياة الغنى التي ألفها . هذا ما جعله يحقد على والده الذي ضيّع كل أحلامه ، على الزمن زمن المادة ، على "إسكندر" الذي خان ثقتهم ،« وهو يعرف في لحظات هدوءه وتأمله العميق لنفسه أنّ قسوته الوحشية مع والده ليست سوى تعبير عن ألمه من زمن ابن الكلب،زمن يعطي للصوص والنصابين الفرص الذهبية ، زمن يجعل من صعلوك تافه مثل "إسكندر" مليونيرا عن طريق فنِّ النصب »[1]،أما عن حقده لوالده فلم يكن كره بالمعنى الحقيقي ، إنما كان غضب نتيجة صدمة عنيفة « فما الكره إلي يحسه تجاهه والده سوى حبا بالمقلوب »[2].

([1]) الرواية، ص 16 .

(2) الرواية ، ص 16 .

– شخصية سعاد :

أرملة فقيرة ، تنقسم حياتها إلى مرحلتين ،مرحلة قبل وفاة زوجها تميزت حياتها بالاكتفاء بما يوفره زوجها من ماديات ، فكانت لا تحتاج شيئا تعيش حياة غنى ،ولكن ليست المادة هي كل شيء في حياة المرأة ،نجد الجانب المعنوي يحتل المكانة الأكبر،وهذه النقطة بالضبط منعدمة في كينونتها ، سعاد تفتقر للعاطفة واهتمام الزوج ،هذا ما جعلها تفهم الزواج مفهوما خاطئا ومرحلة ثانية بعد وفاته حيث انقلبت حياتها من حياة راحة إلى حياة كدح وعمل متواصل لإعالة أبنائها ، هذا ما جعلها لا تفرق الليل من النهار متناسية أنها أنثى، فقد أصبحت بطبيعة حياتها وعملها بمثابة أب لأبنائها ، هكذا كانت تقضي "سعاد" أيامها تعب يتبعه تعب،لاوجود للراحة والنوم، لتلتقي في النهاية بإسكندر الخسيس الذي لم يكتفي بالأغنياء ليسلط مكره على هذه المرأة الفقيرة ويسرق أموالها، ولكنها ظلّت صامدة وقابلت نصب وحنكة إسكندر بالكدح والصمود والمثابرة خاصة من أجل شفاء إبنها البكر جميل الذي يعاني أمراضا نفسية تهدد حياته وحياتها،وقد جسدت سعاد في الرواية عاطفة الكدح والمثابرة المتولدة عن قوة إيمانها وتمسكها بالحياة .

– شخصية جميل :

هو الابن البكر ل"سعاد" كان يحقد على الأغنياء وعالم الثراء الفاحش،لأنه يتذكر أيام النعيم التي كان يحياها في وجود والده، وقد تولد عن حقده هذا أمراضا نفسية مستعصية من شذوذ جنسي وانفصام في الشخصية،لينتهي به الأمر إلى الانتقام من "إسكندر" الذي احتال على أمه سعاد،وقاده حقده على "إسكندر" إلى قتل ابن أخته ، فشخصية "جميل" جسّدت فعل الانتقام ، الفعل المأساوي الذي خُتمت به الرواية وهو فعل القتل لأجل الانتقام من "إسكندر" باعتبار المقتول نقطة ضعفه .

3– التمظهر المعجمي :

يمكن استخلاص التشكّلات الهووية من الملفوظ السردي ؛ إذْ يُؤْخذ اللفظ كعلامة دالة ومؤشر للكشف عن الجانب الشعوري للذات،وتكون هذه العلامة أداتنا في الكشف الناطق منها في النفس البشرية والتي لا تُرى بالعين المجردة ، فالمرء منها وهو تجلٍ يكشف عن وجود انفعالية بلا هوية وبلا

حدود ولا معنى،فالإحساس سابق في الوجود على التجلي الدلالي السابق على أي تمفصل سيميائي،وهو بذلك يولد خارج حدود الخطاب،إنّ هذا الإحساس لا يمكن أن يصبح مرئيا إلامن خلال تجزئته وتحويله إلى وحدات للعزل والتمييز، فهي ما يطلق عليه في اللغة العادية:(الهوى، الاستعداد ،الشعور ،الميل ،الكراهية ... الخ)،وقد يتداخل مفهوم هذه الوحدات كالتداخل الوارد بين الانفعال والعاطفة والهوى.

لقد قام كل من "غريماس" و" جاك فونتاني "بتسليط الضوء على الجانب الشعوري وحالة الذات المنجزة ،كما كان الاهتمام بالفعل في سيميائية العمل،ونجد جان فونتاني يشير إلى وجود اختصاصيين يهتمان بالجانب الشعوري وهما:(علم النفس أو ما يعرف بالتحليل النفسي وسيميائية الأهواء) فالعمل الحكائي يجب أن يُرفق بالعامل النفسي ، ومن هنا نستطيع القول بأن الرواية تحوي مجموعة من المفردات الدّالة على عمل حكائي يرفقه طبعا العامل النفس

أ– المفردات الهووية الدَّالة في الرواية (الترادُف / الحقل المعجمي)

يوجد في الرواية بعض المفردات المشحونة بعاطفة ما ، ونحن ستقوم بإدراجها في جدول مقسم إلى خانتين، خانة يوجد بها الحقل المعجمي الدّال ، وخانة تحوي على الترادف للمفردات:

أوّلا– الحقد :

الحقل المعجمي	**الترادف**
الحقد	الزلزال – الألم الحارق –كزّ على أسنانه – تمنى الموت – الغضب الكاسح – القهر – الانفجارات الهستيرية – الاهانات –كتلة بركانية تتوهج – مرارة الرّوح – الكره – الحسد – الفشل – القسوة – الغيظ – الخنق – الغضب – سموم الروح – السخرية – غضب مكبوت – الانتقام – الهجوم – الثائر – سوداوية – المشاعر – رغبة في الموت – الجنون – ثورة غضب – عاصفة – الوحدة – سموم الحقد – مدنس – خطط للتنفيذ – القتل – قرف الذات .

من بين الأسباب التي تؤدي بالمرءإلى اللجوء إلى عاطفة الحقد،تعرضه لصدمات نفسية مؤلمة، فالإنسان يكون في حالة هيجان،لكنه ذلك الانفعال في الداخل مما يولد ما يعرف بالحقد، وفي بعض الأحيان نجد المرء يحقد على نفسه لأنه كان تافها يتصرف تصرفات لا منطقية ،وهذا ما نجده طبعا في شخصية المحتال "إسكندر"، فبالرغم من انتصاراته المؤقتة ،إلا اننا نجده يحقد على نفسه ويلومها ، إلى درجة القرف منها ،في حين نجد الآهات والكتل البركانية الموغلة في نفسية كل من سليم وجميل ورياض .

ومن أهم النتائج المتوصل إليها جرّاء هذه الحالات النفسية المستعصية،التوحُّد بالانتقام ومن ثمة القتل عمدًا .

ثانيا– الأذى :

الحقل المعجمي	الترادف
الأذى	الصراخ – تخبط ومصارعة الكارثة – الانهيار– الصدمة – الاستسلام – المصائب – القهر – الغم – الألم العظيم – سكتة قلبية – الإفلاس – الخنجر – المرض – الحوادث – المصيبة – الاكتئاب الحاد – الشقاء – السكين – نوبة عنيفة – الحرمان – الغصة – الانتهاك – الشلل – طعنة قاتلة – ماضية جرح – الإصابة بنزيف – المعاناة – سرطان الدم – الخلع – أوجاع – بكى – الضيق – العطش – رغبة في الموت – حُطام إمرأة – الهزيمة – الخسارة – الخراب – العقاب – التلويث – ملاك معذب – الخيانة – الأذى – منهار – قاصر – الذل – موت الروح – قرف الذات .

يؤدي الحقد بالدرجة الأولى إلى إحداث خلل وأذى في نفسية المتلقي، فالأذى هنا ناتج عن تعرض الشخصيات لأزمات نفسية مستعصية ، وقد يؤدي أحيانا إلى الإصابة بالشلل باعتبارها طعنة قاتلة ، فالأذى النفسي تكون نتائجه أعمق من الأذى الجسدي ،قد تتسبب في موت الروح،والقرف منها والدخول إلى اكتئاب حادٍ يصعب معالجته فهو طويل المدى .

ثالثا– السِريَّة :

الحقل المعجمي	الترادف
السِريّة	القهر المحتبس – غاطسا في صمت – متواريا داخل ذاته – الاختباء – الضمير– العبقرية – الأعماق – الخيانة – الغش – السر – يدفن – اللصوصية – اصطياده – بلطف – خبلها من السعادة – فخ الألم – لن يعرف أحد – مُبطن – الغريزة – وحل الشذوذ – يعترف بسره .

إنّ هذه المفردات الهووية الموجودة في الرواية ،والتي تدل على وجود سرية إن دلت فإنما تدل على الأحاسيس والمشاعر المبطنة والمختبئة في الأعماق البشرية ،فتارة تدل على حقارة إسكندر وحنكته وذكاءه في وضع الخطط في سرية تامة،دون أن يعرف أحد بما يفكر فيه ،وتارة أخرى نجد السر الدفين الذي يدفنه "جميل"؛سر عدم معرفة أمه بحالة الاغتصاب التي تعرض لها من قبل "إسكندر" المريض بمرض نفسي يصعب علاجه ويسمى بالشذوذ الجنسي ،وسر خوفه من المستقبل وما يخبأ له من آهات وتأوهات وأوجاع فهو خائف مذعور ،والسرية الثالثة المتمثلة في معرفة سليم لما حدث لجميل، واستغلال مرضه النفسي ،فلقد اصطاده بلطف وحقق مبتغاه المرجو ،وهو الإيقاع بجميل وجعله يقدم بفعل القتل .

رابعا– الإرهاب :

الحقل المعجمي	الترادف
الإرهاب	السرقة – السفالة – الغدر – الهروب – الكارثة – النصب – الاحتيال – اللصوص – الوحشية – الفخ – العدوان – الشرس – التملص – لص – هارب – الخداع – النفاق – المجرم .

تحمل لفظة الإرهاب معانٍ عديدة،فهو ينشأ في ظل عوامل نفسية واجتماعية خاصة،وتحت ظروف سياسية واقتصادية،فالشخصية الإرهابية في هذه الرواية تتمثل في المحتال "إسكندر" الذي سرق مالا غير ماله لأناس ضعفاء، لم يتفوق إسكندر في دراسته لكنه تفوق في الخداع والحيلة والسرية.لقد ذهب الأستاذ "نجيب" و"سعاد" و"رياض" و"وديعة"،وورث هذه الصفة من أستاذه "مصباح

السبع"،وللإرهاب دلالات هووية مثلا:الإجرام، النفاق، الايقاع في الفخ ،السرقة،ومن سفالة وحقارته،وضع شعار وهو: « انهب واهرب»[1]، فعاطفة الحقد والبغض على من يملك المال قوية .

خامسا: الخوف :

الحقل المعجمي	الترادف
الخوف	الوجه المتهدل الملامح – نظرات مرعوبة تائهة- الرعب – الذعر – الحزن – اليأس القلق مخالفة القانون – الاختراق – الفزع – الارتباك – انهمار الدموع .

يعرف علم النفس الخوف بأنه:« حالة من القلق المحدد والمرتبط بموضوع معين »[2].فعاطفة الخوف تدّل على الارتباك،والقلق من الأمر الذي يحدث،لقد ترك الإرهابي والمحتال إسكندر ،فزعا وخوفا شديدًا في قلوب الأبرياء، فتغيرت ملامح الوجه تعبر عن ما يختلج في نفسية الإنسان ،ونجد إسكندر خائف لأنه يخترق ويخالف القوانين المنصوصة،إلا أنَّ عاطفة الجشع وحب التملك تسلط على مشاعره .

سادسا– الانفصام :

الحقل المعجمي	الترداف
الانفصام (الفصام)	عذاب الروح – المرض النفسي – الانعزال – شياطين الروح – اضطراب المزاج – التقمص – اللاوعي – المشاعر المتناقضة – الهوس – الصراع الداخلي – ثنائي القطب – كائن منفصل – شخصية متقمصة – سَادِيةٌ غريبة تقمصته – الشيطان المتلبس روح ابنها – شيطان الغريزة – قبضة قوى خفية – وحل الشذوذ – انفصام الشخصية – التدهور – في فصامٍ مع الأخلاق.

([1]) الرواية ، ص 57 .

([2]) نبيل صالح سفيان : المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي (المفهوم – النظرية – النمو – التوافق – الاضطرابات – الإرشاد والعلاج)، ط1 ، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر الجديدة ، 2004 ، ص 82 .

لقد دلت المفردات على وجود عاطفة مُتشنِّجة غامضة ، لاواعية ، عاطفة تُعرف بالفصام « أول من أدخل مصطلح الفصام العالم السويسري ، (يوجن بلوليو) ، وهو مصطلح إغريقي يعني انتشار العقل والفصام مرض ذهاني يحدث بصورة أكثر شيوعا في سن الرشد ، ويظهر لدى الذكور أكثر من الإناث ، ويتميز باضطراب في الوجدان وظهور أعراض الانسحاب إلى عالم الخيال واضطراب التحكم الانفعالي ووظائف التفكير واللغة »[1]،فهي مجموعة من المشاعر المتناقضة المتصارعة الخفية وراء شارٍ لا يعرف متى يُفتح.

ب- التمظهرات التوليدية الدلالية للفعل الهووي

تمّ إدخال البعدالعاطفي تدريجيا وبحذر في الدراسات السيميائية،فالعواطف والأحاسيس تتميز بارتباطها بالذات،لذلك يستدعي دراستها الاهتمام بعلم النفس،وهذا ما يؤدي بها أحيانا إلى الخروج عن مجالها، غير أن الرهان بالنسبة للسيمياء تمثل في بناء دلالة لهذا البعد العاطفي في الخطابات،إذ لا تؤخذ العاطفة من جانب تأثيرها في الذوات الحقيقية " الجانب النفسي "،بل من جانب كونها تنتج معاني مشفرة ومسجلة في الخطابات وهي بهذا تساهم في إنتاج تمثيلات ثقافية مختلفة تثري الخيال العاطفي ،فيقوم بتثمين بعض العواطف دون الأخرى،« فلاشيء عظيم يتحقق دون عاطفة »[2] فهي أساس الوجود أي أنّ ؛« العاطفة هي كل الإنسانية »[3].

فسيمياء العواطف تقوم بدورها على الكفاءات التي تحدد وضع الذات والموضوع،وتظهرالعاطفة من هذا المنظور كزيادة (Sur Plus) وكفائض (Excédent) بالمقابلة مع بنية صيغية ففي سعي الإرهابي والمحتال في الإيقاع بضحيته،تكون كفاءة الذات في الرغبة واللهفة في الإيقاع بالضحية

---

(1) نبيل صالح سفيان : المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي (المفهوم – النظرية – النمو – التوافق – الاضطرابات – الإرشاد والعلاج)، ص 185 .

(2) Michel meyer : Le philosophe et les passions , p5 .

نقلا عن : بشار سعيدة : سيمياء الانتماء في رواية (الانطباع الأخير) ل : مالك حداد (مذكرة ماجستير) ، إشراف : (آمنة بلعلى) ، جامعة تيزي وزو ، تيزي وزو ، الجزائر ، ص 07 .

(3) Herman parret : les passions ‹essai sur la mure en discours de la subjectivité ,p 11

نقلا عن : بشار سعيدة : سيمياء الانتماء في رواية (الانطباع الأخير) ل : مالك حداد (مذكرة ماجستير) ، ص 07 .

إضافة إلى وجود أحاسيس أخرى مختلفة تنبع عن هذه العاطفة من تأثر واضطراب وخوف وحقد ... إلخ ، يمثل فائضا وزيادة مقابلة مع البنية الصيغية التي تمثل الكفاءات .

«إنّ الاعتراف بأهمية العواطف يعود قبل كل شيء إلى الطب وإلى علم الأخلاق ، ومن الإصدارات الأولى التي اهتمت وتناولت موضوع العاطفة « عواطف النفس لديكارت عام 1649 " خصائص العواطف "اللطيف" كورو" (Cureau) عام 1640 ، وكتاب آخر للراهب الأخلاقي "جون فرانسوا سينو "(Jean – François Senault) تحت عنوان:"**استخدام العواطف**"الذي صدر عام 1643 »[1].وبما أنَّ العواطف تنتج من المناطق الحساسة من أنفسنا،فلا يمكن بأي شكل من الأشكال عزلها عن علم النفس لما لها من دلالات إيجابية وأخرى سلبية ، فالإيجابية تتمثل في المرح والسلبية تشمل الإدمان على القمار،الإدمان على المخدرات، الهوى الغرامي،هذا بالنسبة للغرب .

[أمّا فيما يخص العرب فلقد عثرنا على مترادفات متنوعة لكلمة " عاطفة "،وكانت كلها مختلفة الدلالة من كاتب إلى آخر ،ومن بينها:« هيجان،عاطفة ،هوى » ، إن الانفعال الظاهر العنيف هو الهيجان،ومثال ذلك الغضب،الخوف الشديد ، أما الانفعال الخفي الهادئ فيسمى العاطفة كالحزن، الحب، الكره ،إنه دفين،لكنه يظهر بمجرد الإصابة بحادث مؤلم أو سماع أن أب فقد إبن،أم ميراث][2].وها ما نلحظه في رواية"«**أحلام نازفة» للروائية ل:هيفاء بيطار**"التي تروي على ألسنة شخصياتها الحال التي آل إليها الإبن والواقع المرير التي مرت به الأم "سعاد"،والسبب الرئيسي الذي أدى إلى تشتت العائلات،والوقوع في المخاوف والأمراض النفسية الهستيرية حب المال،المال الذي عمى بصيرة إسكندر.هذا الانفعال قوي ،ودائم يرافق الإنسان لمدى العمر، إذ يطلق عليه **"الهوى"** فالهوى هو عاطفة وهيجان في وقت أنه ظاهرة نفسية كلية تبدل من معالم الشخصية بأكملها .

ومن بين التمظهرات التوليدية الدالة على البعد الهووي في رواية :"«أحلام نازفة»"للروائية السورية

---

(1) Herman parret : les passions (essai sur la mure en discours de la subjectivité, p 11.

نقلا عن : بشار سعيدة : سيمياء الانتماء في رواية (الانطباع الأخير) ل : مالك حداد (مذكرة ماجستير) ، ص 09 .

(2) م .ن ، ص10 .

«هيفاء بيطار» نجد : الحقد،الأذى،السرية،الإرهاب، الخوف، الانفصام،فالمقصود بكل هاته المفاهيم؟ وما الشحنة العاطفية التي تحملها كل منها؟وما تأثيرها على الشخصية الإنسانية ؟

أوّلا– الحقد :

عرّفه ابن منظور بقوله :« الحقد إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها...طلب الانتقام وتحقيقه ،وقيل : هو سوء الظن في القلب على الخلائق من أجل العداوة »[1].أي أن الحقد ما هو إلا ردة فعل ناتجة عن ضعف أو خوف سواء أكان ذلك المرء مظلوما أو ضحية،فهو تعبير انفعالي ناتج عن عدم القدرة على المواجهة الصريحة وأخذ الحق المنهوك والمسلوب،ويرجع السبب إلى تعرض ذلك الشخص إلى الإهانة أو الإحساس بأنه أقل شأنا أو القيام بابتزاز شخص ما وإلحاق الضرر به سواء أكان نفسيا أو جسديا أو يتحقق كل منها في الوقت نفسه وهذا ما نلحظه في الرواية وما ترويه الروائية «هيفاء بيطار» « بدأ طنين مزعج في أذنيه، عجز عن طرده،كما لو أنه دويُّ الكارثة وشعر أن كل خلية في جسده تنبض بألم حارق،وتفجر حقده كاسحا على والد العجوز»[2].من شدة الألم وفضاعة الخبر لم يتحمل سليم الصدمة التي وقع فيها والده الذي ناهز والده عمره عن 83 سنة، أماأدى به إلى فقدان الإحساس وبدأ يصرخ ويهذي بكلام حاقد،بنبرة حادة مفزعة،إلى درجة أنه صار يحقد على الزمن والأدب الذي لا دخل له سوى أنه وثق بشاب وفي الأخير وقع في شباكه « لم يعد سليم يميز بين مشاعر الحقد على الزمن ومشاعر الحقد على والده، الحقد على النصاب ، كان يحس أن حقده يتضاعف ويتكاثر في كل لحظة »[3]،هذه الفاجعة المريرة أدت بسليم في التفكير بتمني موت والده،الحالة الهستيرية التي يمر بها جميل جعلت من أمه تعيش حالة من الاكتئاب والخوف وتبحث عن الدافع الرئيسي الذي غيّر ابنها وجعله تحطم، فهي تتساءل « ترى ما الذي غيره ، كان سعيدا في طفولته...ترى من أين تأتي الأمراض النفسية ؟ما الذي جعله مراهقا تعيسا محطما بالحقد على الأغنياء إنها لا تفهم سبب حسده الطاغي والذي يسمم روحه على الأغنياء »[4].وفي موضع

([1]) ابن منظور : لسان العرب (مادة حقد) ، ج6،ط1، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر ،مصر، ص 254.
([2]) الرواية، ص 7 .
([3]) الرواية ، ص 8 .
([4]) الرواية ، ص 26، ص27 .

آخر من الرواية نجد المحتال الإرهابي إسكندر يحتقر نفسه ويحقد عليها، لأنه أحس أن انتصاره كان زائفا، وكل الروابط انقطعت ونجد ذلك مستدرجا في قوله:« لم يفهم سر شعوره الدائم أن روحه متعفنة ، ككومة من القمامة تعلوها غمامة من ذباب، كم كانت تلك الصورة تقززه وهو طفل ، الآن يراها مرآة روحه ولا تفارق خياله...»[1].فبالرغم من سطوته على مال الغير إلاّ أنه يشعر بالإحباط وانحطاط لروحه،فروحه تعفنت ولم يعد لها أي قيمة لدرجة أنه أصبح يتسول العاطفة «تتتابع الأيام ومشاعرسليم الهائجة المتناقضة تصفو،وتتحرر من شوائبها،يدرك أن شهوة إلحاق العقاب بوالده سخيفة ،فالعجائز لا يغوون بالإنتقام وأي إنتقام ممكن من رجل خسر كل شيء ،ولم يعد يملك سوى أن يعدَّ أيامه بانتظار الموت»[2]. يحاول "سليم" إعادة بناء لهيكله النفسي،فهو يسعى جاهدا إلى التحرر من الشوائب ، والمرض النفسي الذي يعتريه " الحقد "، ويرى أن فكرة الانتقام من والده فكرة عاطلة لا جدوى منها ،هنا يطرح السؤال بينه وبين نفسه ،ممن سينتقم ،هل سينتقم من والده الذي لا يملك شيء ؟ مشاعر الحقد والضغينة بارزة وبقوة لدى سليم إنه يحقد على نفسه وعلى من يدور حوله .

ومن ناحية أخرى نجد الشاب "رياض"،صديق "إسكندر"،لقد كان رفيق دربه في الدراسة ثم التقيا مجددا ، وعقدا عقد شراكة بينهما، وكان هدف "إسكندر" هو الاحتيال والسرقة ، لقد نجح "إسكندر"، وخدع "رياض" وهرب، وكان مصير "رياض" محاولة الانتحار، فلقد انهار نفسيا وعقليا، تولد جراء هذا الانهيار حقد شديد تجاهه ، فلقد توعد بالانتقام منه إن بقي على قيد الحياة « لكنه أقسم أن هدفه في الحياة بعد أن تم إنقاذه هو قتل إسكندر ، وبأنه مستعد أن يقضي ما تبقى من عمره في السجن»[3]، وفي حديثنا عن الحقد نجد شخصية "وديعة"، إحدى ضحايا "إسكندر" لقد أوقعها "إسكندر" في الفخ، باعتبار أنها إمرأة مؤمنة تخاف الله، وثقت به وأمنته على مالها ونفسها، لقد حسّت بإنخناق بطيء وعطشا للهواء ،« كيف خطر لها أن تشوه علاقتها الطاهرة القوية بالله

([1]) الرواية ، ص 59 .
([2]) الرواية ، ص 65 .
([3]) الرواية ، ص 85 .

،لتبذر قواها الروحية بمشاعر دنيوية مقرفة من الغضب والحقد والألم...»[1] لقد اختلطت مشاعر الأخلاق والإيمان بالله بمشاعر الحقد والضغينة والغضب والتفكير بالإنتقام .

إنَّ حُبّ الإنسان للمال يجعله يطغى،لقد أحس جميل بالفرح والسعادة عندما أخبرته أمه أنّها ستعطي المال للنصاب "إسكندر" لكي يستثمره،وتصب عليها الفوائد كل شهر،لكن سرعان ما تحول جميل عند سماعه وتلقيه للخبر «...حين تلقى جميل الخبر، لم يعرف ماذا حلّ بداخله، ولم ينتبه أن ملامحه تبدلت للحال، وبدأ الجنون يلوح في وجهه ، واشتعلت ثورة غضبه الجنونية بلمح البصر ولم يعد يعرف ماذا يقول، وبماذا يفكر ...»[2]،لقد امتلأ قلب جميل بالحقد حين تلقى الخبر الذي صدمه، وجعله يمكث في مكان واحد « لكن شراهة رهيبة للإنتقام أخذت تنمو في روح جميل، كان كل صباح وكل مساءٍ يتفجر حقدٍ ، بل تحول يومه إلى يومٍ جهنمي...»[3]،من الشعور بالخذلان والخديعة من أقرب وأعز صديق لديك تؤدي بالضرورة إلى توتر الأعصاب وفقدانها في أغلب الأحيان إلى درجة الوقوع في الجنون التي لا تحمد عقباه، فنتائجه وخيمة جدا فاللاوعي هو الذي يسير الأحداث أي خوض النفس البشرية حروبا داخلية متنازعة في حالة لا شعورية وهذا ما يعرف في علم النفس الحديث باللاوعي ، والذي قال عنه العالم النمساوي " سيغموند فرويد "« لم يكن سليم بقادر على الرحمة أو الصفح فأعماقه متصلبة بالحقد ، وأية محاولة لتليينها سوف تكسرها وتبعثرها شظايا »[4].

يُحاول "سليم" الخروج وبأيّة طريقة من الحالة التي دخل فيها ،وكأنَّ البكاء سيُطهِّره من الشرارات السلبية التي تَعُوقه عن مسار حياته،التي أخمدت وشلَّت تفكيره وغلقت أبواب التأمُّل إلى الحاضر وإيجاد حلول لهذه المصيبة التي حلَّت به وبأبيه،ويرجى صلته به قوية،ويعيش برفقته يملأه بالحنان والطمأنينة ، يضمُّه بين ذراعيه ويُواسيه ،لا يُعاتبه إنما يصفح عنه .

([1]) الرواية ، ص 134 .

([2]) الرواية ، ص 142 .

([3]) الرواية ، ص 143 .

([4]) الرواية، ص 152 .

إنّ خسارة المال جعلت من "جميل" إنسان ثان ،لكن هل هذا السبب الوحيد هو الذي هز كيانه، وجعله ينهار كليًا ؟! ألا يوجد سبب آخر مكمل للسبب الأول لكي يدخل عالم آخر،عالم اللاوعي،فكلامها لا يعجبه ولا يعطي له أية أهمية .

« تعتقد المسكينة أنها تؤاسيه ، بينما هو يُجَنُّ من الغضب ، لا تعرف أنَّ كلامها هذا يصب الزيت على النار ، يصرخ بحقد : طبعا هذه الحياة الحقيرة ، ناس يلعبون بالمال وناس فقراء، لا يملكون سوى أحلام مجهضة »[1].يصبح المال الملجأ الوحيد لتحقيق اللذة وتحقيق الأحلام.

يلتقي "سليم" ب"سعاد" الأم التي ما عادت تعرف شيئا ن تسرد له ما حدث لابنها "جميل" وترجع السبب إلى حب التملك ، المال اللعين أصل الشرور،وبينما هي تتكلم، نجد "سليم" استغل الوضع المؤلم ل"جميل" وحنك خطة للانتقام « يشتعل الغيظ في روح سليم ،ينظر في عيني سعاد الذاهلتين،عيناها مفعمتان بالألم ، هل سيقف متفرجا ؟ لماذا يشعران أن ثمة شيئا سيحصل ، أي حدسٍ غريب يدغدغ مشاعره لينبهه أن ثمة حلاً، ثمة تصرفا يمكن أن يقلب المعادلة !لقد عرف نقطة ضعف السافل المنحط...»[2].فمعرفة "سليم" لنقطة ضعف الإرهابي "إسكندر" جعله يتوحد مع المريض بمرض نفسي"جميل"للانتقام والأخذ بالثأر منه « توحّد جميل وسليم بشهوة الجريمة،لكن سليم ظلّ واعيا لانحطاط أخلاقه ومدركا أن رغبته بتنفيس أحقاده هي المسيطرة ، وبأنه لم يعد في حياته من إغواءٍ أكبر من إغواء الانتقام ، ولديه الأداة التي تستنفذ حلمه، دون أن توجه إليه أصابع الاتهام ،من سيصدق مجنونا وقاصرا ؟! »[3].لقد انجرف "سليم"وراء مخططاته الجهنمية وأوقع بجميل في حباله ،انتهى أمر "إسكندر" وانتصر سليم وخسرت الأم ابنها ،لكن هل سيعيش سليم مرتاح البال،هل سيكون مطمئنا، فبالرغم من تحقيق الحلم ، وتحول الآلام إلى فرح ورقة ، إلا أنّ هناك وخزات مرارة،ألم وحزن،عندما يغلق باب يفتح آخر لا نعرف طريقه من أين جاء وكيف سينتهي.إنّ لكل جريمة دافعًا ،قد يكون الدافع الحقد، الانتقام، الحسد ، الخوف أو المال .

([1]) الرواية ، ص 187

([2]) الرواية، ص 196 ، ص197 .

([3]) الرواية ، ص 196 ، ص197 .

ثانيا– الأذى :

نستطيع القول أن الألم تجربةحسية،عاطفية بغيضة متعلقة بضرر نسيجي فعلي أو كامن، أوموصوفة بمصطلحات تمثل ضرراً كهذا،فهو إحساس أو شعورسلبي يعدم السعادة أو المعاناة، قد يكون ماديا أو معنويا بحسب العوامل التي تسببه فقد يكون نتيجة إحساس أو شعور ، المادي يكون مثل الصداع أو المغص والمعنوي يكون مثل الحزن والقلق والتوتر ، وهذا الأخير متعلق بالحالة المدروسة وسنلقي الضوء عليه من خلال استنباط واستخراج العبارات والفقرات الدالة عليه« لم يبد عليه انه متألم من قسوة ابنه عليه ،فطعنة الكارثة كانت قاتلة تماما ، وأية طعنات إضافية لن تؤثر لأنه مهزوم ومقتول سلفا»[1].أحسّ أبو سليم بالخزي والألم والقهر جراء ما حصل له ، فخسارة المال واحدة ، وخسارة حب ابنه سليم هي الواقعة الكبرى غير الألم الذي تجرّعه سليم لم يكن سهلا ،فخسارته لمنبع الحنان ، وخسارته للثروة أفقداه صوابه « وحده الألم جعله ينضج ، كان صراخ النسوة وبكاؤهن يصمان أذنيه ، أحسّ بفزع وشعر أنه مهدد في قلب وجوده،حدس الأفعال لا يخطئ »[2]،أصبح الوجع حارقا لا يُحتمل ، كانت عواقبه وخيمة لقد أصبح يركض كالمجنون، لم يعد يعرف حوله فحالته النفسية والجسمية متدهورة .

لقد عملت "سعاد" جاهدة لكي تعيل أبناءها ، لقد ضحّت بالنفس والنفيس لكي لا يحتاج أي فرد من عائلتها ، هدفها توفير الراحة والاطمئنان ، إلى درجة أنها أهملت نفسها ، فهي لم تعد تبالي بذاتها « أحست سعاد أنها حطام امرأة ، وتذكرت أنها لم تشعر منذ يومين ، بدأت تشعر أن خيوطا سوداء أشبه بأسلاك رفيعة تتكاثر في دماغها وتغزو شبكية عينيها »[3].تريد سعاد الهروب من الواقع المرير الذي يعيشه « تنزوي إلى ركن من البيت أو تدخل الحمام وتستسلم لنحيب حار موجع طالع من أعماق ملتهبة بالقهر والإحساس بالمهانة »[4].تجد سعاد راحتها عندما تستسلم إلى البكاء، بكاء خارج من الأعماق من شدة خزيها وذلها وقهرها ،فزوجها لم يكن يحترمها ويشعرها بالأمان والدفئ ،

(1) الرواية ، ص 10 .
(2) الرواية ، ص 15 .
(3) الرواية، ص 24 .
(4) الرواية ، ص 32 .

إنما كان مؤقتا،فهو السبيل للاستمرار بحياتها.في حين نجد ابنها جميل يتأثر،فهو يشعر بالضجر والارتباك فحياته مليئة بالأحزان والآلام والآهات «... إنه يحس بألم ، لكنه يختلف عن ألم الجسد ، ولم يعرف ألم الروح ، لعله لم يسمع بهذا التعبير »[1].لم يعد يفرق بين ألم الجسد ، وألم الروح من شدة الحرارة والحرقة ، أي أنه أصبح يعيش حالة من الصراع ، فهو لم يتعلم حتى كيف يشفق على نفسه ، وكيف يتصدى ويواجه هذه العواصف، أما سليم ، لقد عاش فترة من الزمن وحيدًا ، حالته مفزعة ، كان يائسا وتائها ،أوقعته الصدمة أرضا، فهو لم يعد قادراً على الصمود والوقوف مرةً أخرى للتحدي والثأر لما حصل له ولأبيه « مرت أشهر وسليم ملتاع من هول ما حصل لأسرتهم ، يجلس وحيدا فيما قلبه يرتجف من آلام صاعقة ، يحسها ككهرباء قوية »[2] فالأزمة التي مرّ بها جعلته يعرف صديقه من عدوه ، فالصداقة تُعرف وقت الضيق ، ولقد عرف سليم هذا ، غابت وجوه المحبين ، أصبح يعيش في قبوٍ مظلم موحش، لم يعد يعِ كيف يفكر، وبماذا يشعر..أما إسكندر كانت تصرفاته غير منطقية، لم يكن متوازنا ذهنيا ، وكان مريضا بمرض يصعب علاجه إنه مرض الشذوذ الجنسي ، فهو يستغل الأطفال ويكرههم على فعل المحرمات « ثم تفجرت فضيحة الشذوذ الجنسي لإسكندر واستغلاله لمراهقين يصحبهم إلى شاليه على البحر يملكها صهره...»[3].حيث إن كل عمل جنسي يخالف ما جعل الله له طريقا صحيحا،ولو كان غير مشروع ، فالزنا غير مشروع ولكنه لا يعتبر شذوذا جنسيا، وتدخل في الشذوذ الجنسي اللواط دون باقي مظاهره، لأن فيه انقراض البشرية عدا المفاسد الخلقية التي تنشأ عنه والأمراض ونفور الطبع السليم منه وهو« مصطلح يستخدم للدلالة على الميول الجنسية والمنحرفة، والتي منها توجه بهذه الميول نحو شخص من الجنس نفسه، ويمتد ليشمل الارتباط أو الانجذاب العاطفي لهذا الجنس حيث انجذاب الرجل جنسيا فيما يسمى اللواط، ويسمى فاعلها لوطي، والمرأة للمرأة وهو ما يسمى السحاق وجميعا يطلق عليه المثلية الجنسية »[4].ولقد جاء ذلك في محكم تنزيله : ﴿ **ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين(80)**

([1]) الرواية ، ص 50 .

([2]) الرواية ،ص 32 .

([3]) الرواية ، ص 69.

([4]) أحمد بن محمد الشهري : الانحراف الجنسي بعد البلوغ وعلاقته بالتعرض للاعتداء أثناء الطفولة (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه)، إشراف الأستاذ (عبد الله بن عبد العزيز اليوسف، الرياض ، السعودية، 2010 ، ص 17 ، ص18 .

إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (81) وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون (82) فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (83) وأمطرنا عليهم مطرً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين (84) ﴾[1].

وفي ثنايا الحديث عن "جميل" نجده يشعرباالهيجان ويتوعد بالانتقام«كان يرِّق لدموعها وتوسلاتها، وتوسد رأسه في حضنها ليوهمها أنه سيهدأ مع الأيام،لكن فكرة واحدة كانت تسلبه كيانه:الانتقام..»[2]،نجد "جميل" يحن لأمه بالرغم من قربه منها،فهو يستشف بحنانها وعطفها وتغمره بهما،لكن فكرة الانتقام سيطرت على عقله ونفسيته ،فأعصابه منهمكة ومتوترة،في حيت نجد الأم سعاد لا تكاد تعرف وتفرق بين الوجع والألم « تغرق سعاد في أفكارها وأوجاع روحها وهي تحاول أن تجد أجوبة للتساؤلات المتكاثرة في عقلها،تبتلع دموعها أو تسمح لها بالانهمار بحذر على وجهها»[3].ونجد في ملفوظ آخر:« هل يجد إسكندر متعته وغاية وجوده في الرذيلة والأذى والسرقة»،من سينتقم لجميل ؛الشاب المسكين الذي كاد يتعافى من مرضه النفسي،ثم دمره إسكندر سرقة وجرِّه إلى الرذيلة ، المسكين تعرّض لأبشع أنواع الخيانة والأذى.وحوصلة لما تم تقديمه حول الأذى،فإننا نستطيع القول أن الأذى النفسي تكون نتائجه وأعراضه وعواقبه أشد من الأذى الجسدي، فهو يؤدي إلى الاكتئاب والقلق والتوتر العصبي .

ثالثا– السرية :

لغة :

« هي مصدر صناعي مأخوذ من السّر بلفظة سَرَرَ.السر : ما أخفيت ، ورجل سري أي يصنع الأشياء من قوم سريين ، ورجل سرّي هذا الأمر، أي عالما بدقائقه وخفاياه ، وإستسرَّ الهلال في آخر رمضان خَفي،والسر في اللغة العربية هو الذي يُكتَمُ، وجمعه أسرار وهو ما يكتمه وتخفيه وما يسُرُّه المرء

([1]) سورة الأعراف (الآيات 80– 84) .
([2]) الرواية، ص 144 .
([3]) الرواية ، ص 185 ،ص 186 .

في نفسه من الأمور التي عزم عليها»[1].كقوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **وأن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ وما أخفى**﴾[2].

اصطلاحا:

لقد عرّف الفقه " السر "عدة تعريفات منها أنه:« كل أمر يعهَد إلى ذي مهنته على سبيل السر»[3].

ونجد هذا المصطلح ماثلا في رواية «أحلام نازفة» للروائية «هيفاء بيطار» « ما عاد قادرا على الاختباء داخل ذاته ، والاختباء تحت لحاف سريره »[4]،فالسّر الذي يخبأه سليم يكاد يفقد عقله ، فهو ما عاد يعرف أين يختبئ ، فالذات مشوشة منهارة ، وحتى السرير الذي سيختبئ فيه ما عاد يطيقه فهو مؤقت لا دائم فهولم يعد يملك شيئا لكي يقاوم الانجراف الذي بداخله ،التفكير معطوب والإحساس يكاد ينعدم ، فهو يعيش في دوامة وحلقة مفرغة هذا إن دلّ فإنمّا يدلّ على وجود سر في الأعماق،لايستطيع البوح به ،وهذا راجع لفضاعة الأمر، فلقد خرج سليم عن صوابه،واستسلم للأمر، فحتى الأصدقاء ابتعدوا عنه أية صداقة هذه ؟!.

لقد وضع "إسكندر" كمينا للأستاذ "نجيب" لكي يوقع به،ونجحت العملية التي خطط لها، كانت سرية محكمة ، غير مرئية ،مبنية على أساس وقواعد مسبقة « أخذ إسكندر الكيس من العجوز ورماه إلى المقعد الخلفي للسيارة ، كادت نشوة الانتصار تفقده صوابه، تمنى لو يصرخ ويقفز ويغني وينقلب من الضحك ،وصار يكرر منتشيا بينه وبين نفسه، برافو عليك يا إسكندر،برافو عليك...»[5]،تحتاج كل خطة بطبيعة الأمر إلى حنكة وترتيب مسبق،وهذا ما قام به المحتال "إسكندر"، وضع خطة مبدئية ثم قام بتطبيقها على العجوز الذي يناهز عمره 83 سنة ، وسعاد

([1]) لويس معلوف : المنجد في اللغة والإعلام كلمة (سر) ، مج :01 ، ط.19 ،المطبعة الكاثوليكية ، دار المشرق ، بيروت، لبنان ، 1986 ، ص 21 .

([2]) سورة طه (الآية 07) .

([3]) أسامة قايد : المسؤولية الجنائية للطبيب عن إفشاء سر المهنة ، دار المهنة ، دار النهضة العربية ، ص 4 .

([4]) الرواية ، ص 12 .

([5]) الرواية ، ص 54 ، ص55 .

المرأة المضحية بكيانها، ورياض، ووديعة ، فأحداث الرواية متسلسلة ووقائعها تسردلناحالة الإنسان العربي وما آل إليه في عصرنا المادي « تأمل إسكندر العجوز بجانبه يشري الكابوتشينو بتلذذ،فكر إسكندر وهو يتأمله باستخفاف، مسكين، مسكين، والله أنا أبلعك المصيبة بكأس كابوتشينو،راقت له هذهالفكرة فكررها لنفسه منتشيا ببلاغتها: أبلعك المصيبة بكأس كابوتشينو »[1]،خطط جهنمية وضعها الإرهابي "إسكندر" فكأس كابوتشينو مقابل المليونين هل هذا غباء ، أم فطنة،حيلة أم استهتار ؟ !« هكذا كان "إسكندر" يحدث نفسه، غير واعٍ إلى أي دركٍ من الانحطاط وقلة روحه، لكن إحساسه بالنصر كان زائفا ، إذ أحس أن كل روابط الألفة بينه وبين الآخرين قد تقطعت، وبأنه وحيد كذئب في غاية الموت، ليس فيها أي كائن حي »[2].وأخيرا شعر "إسكندر" بقيمته التي انحططت شيئا فشيئا، وكان سبب انحطاطها حبه اللامعقول للمال، بالرغم من انتصاره الذي حققه بعد معاناة وخوف شديد، لكنه إحساس زائف مؤقت ، لقد خسر كل شيء من حوله ، وأصبح أسيراً للهرب من واقعه وعالمه الحقيقي.

من بين الأساليب التي اعتمدها "إسكندر" في ترويض هؤلاء الأشخاص، نجد أسلوب اللين واللطف، لقد تعلم هذه المهنة ، مهنة انتهاك حقوق الآخرين من أستاذه مصباح السبع « في مدرسة مصباح السبع لم يتعلم "إسكندر" كيف يمكن انتهاك القوانين وتجاوزها، دون محاسبة أو عقاب، بل تعلم ما هو أهم،وهو اصطياد الناس باللطف والتظاهر بالمحبة والمبالغة في الاهتمام بهم،فاللطف هو الفخ المضمون لأي عملية احتيال أو نصب »[3]، الفطنة ، الدهاء ، الحيلة التي يملكها "إسكندر"،لقد ورثها على أستاذه الذي كان بدوره يحتال على الزبائن، والتودد إليهم وإقناعهم أن المبلغ باهظ لأن الأشياء أصيلة ، وفي آخر المطاف ينفجر ضاحكا ، لأنهم بُلهاء وقعوا في الفخ ودفعوا مبالغ باهضة مقابل بضائع غير أصلية.«...لم يخطر ببال سليم أن هذا الشاب المتفاني في المحبة ليس سوى نصاب يسير على خطة مدروسة بعيدة المدى ،وبأنه يتابع سير الدعوة خطوة بخطوة ،ليس حبا بالأستاذ نجيب، بل ليعرف الزمن كي يضرب ضربته ويهرب..»[4].عرف سليم حقيقة إسكندر، لكن بعد ماذا،

([1]) الرواية ، ص 54.

([2]) الرواية ، ص 58 .

([3]) الرواية ، ص 75 .

([4]) الرواية ، ص 125 .

لقد عرفه بعدما أغدق بهم ، وأدخلهم في الوحل الذي يصعب الخروج منه ، فطريقه مسدودة لا محدودة « بعد أيام زار إسكندر وجيعة حلاق حاملا أكياسا بالفاكهة والخضار، وتحدث إليها بعذوبة ومودة كما لو أنه ابنها ،خبلها من السعادة ،وتأثرت لحد البكاء من رقته وحنانه وكرمه..»[1].لو كان إسكندر يحمل قدرا ولو صغيرا من الرقة والإحساس ،ما فكر في الاستيلاء على يتيمة متقطعة من شجرة ،لو كان متزنا نفسيا وعقليا ما فكّر بالمساس بامرأة ضعيفة ، وشيخ كبير السن يناهز عمره عن 83 سنة «... أمسكت يدها وقربتها من شفتيها ،وقبلتهما ، قالت له بصوت مشجع قوي ،لن يعرف أحد اطمئن ، ثم إن مرض النفس كمرض الروح ألم يقل لك ذلك الدكتور»[2] لتطمئنه أمه ،وتقول له بأن العلاج سيكون في سرية تامة، لن يعرف أحد بمرضك وأنك تتناول الدواء، فهي تشجعه وتهز من مشاعره وتقويها ،وتقول له بأن الناس أغبياء وجهلة، فهي تعيب عليهم، وتذمهم فهم لا يعرفون شيئا « تعترف سعاد بعجزها وفشلها ،وتدرك كم هي ساذجة حين اعتقدت أن لا شيء في العالم بقادرٍ على هزيمة قلب أمٍ »[3].نجدها في موضع آخر تقول: « لم تتوقع سعاد أن شراسة ابنها مجرد قناع لغضبه وسخطه وتستوعب سذاجتها حين آمنت أن المال لا يشفي الروح ... لكن الحقيقة أن جميل يخفي سرا كبيرا يعذبه ولا يمكن أن يبوح به لأحد»[4].

إنّ تعرض "جميل" للصدمة التي كان سببها إسكندر جعلته لا يستطيع البوح بالسر،لأنه سر خطير للغاية ، إنه عمل لا أخلاقي قام به إسكندر ، لقد استغل حالته واستغل كونه مراهقا لا يعرف شيئا، وقام بخدعته التي لا تغتفر« وأكثر ما آلم جميلا أنه لن يتمكن من أن يبوح بتلك الممارسة لأحد، وأخذ هذا الفعل يقوى مع الزمن...»[5]يا لقسوة السر المدفون عميقا في الروح ، إنه يزداد ثقلا يوما بعد يوم ،يحمل جميل في قلبه غلا وهما كبيرا، إنه لا يستطيع البوح عما يجري في كنهه، حالته مستعصية وصعبة العلاج ، الجرح الجسدي يداوى، ونجد له ما يشفيه ، أما البعد العاطفي لا نجد له دواء، فهو صعب المراس ومعرفته ليس بالأمر الهين.« يخشى جميل أن يضعف ويعترف بسرّه ، لأن

([1]) الرواية ، ص 132 .

([2]) الرواية ، ص 138 .

([3]) الرواية ، ص 187 .

([4]) الرواية ، ص 191 .

([5]) الرواية ، ص 199 .

ثقته بسليم وارتياحه له تزداد مع الوقت ، وبالفعل بدأ يشعر أن سره المطمور أخذ يتململ في قلبه كأنه يريد أن يفتح لنفسه منفذا »[1]، فالخوف أصبح بمثابة هاجس يطارد حياة جميل ويهددها ، فلقد أصبح يخفي خوفه ، ولكنه لا يعرف عواقب إخفاء هذا الخوف« ورغم مظهر الجنون الغاضب المتوعد لجميل، فإنه كان يخفي خوفا مدمرا في نفسه بل قد تكون مظاهر الصراخ والتوعد والتهديد، أشكالا مخادعة لإخفاء الخوف العظيم في روحه»[2]، فالخوف حالة عاطفية مستعصية، وصعبة المراس، إذ تؤدي بصاحبها إلى الانتقام والتهديد والتوعد.

«لم يفهم سليم،سيطر عليه إحساس أنه يضمحل كما لو أنه كيان حي يذوب في حمضٍ وسقط ضحية خوفٍ أقرب إلى الذعر ولم يفارقه ولم يستطع أن يحدد بدقة مم هو خائف ؟»[3]، فنجد سليم يحاول إيجاد حل لمخاوفه التي سيطرت على قلبه وعقله إلى درجة الهروب من الواقع والانسحاب من الحياة الاجتماعية، والتحول تلقائيا من إنسان عاقل محب للحياة إلى حيوان وحشي يفكر أن العالم يحكمه المال لا الكلمات الصادقة، وفي موضع آخر نجده يشعر أنه أصبح بمثابة بزّاقة،« كان إحساسه مستمرا بأنه بزاقة عريانة، لكنه أصر ألا يجعل مشاعر الخوف والذل والقهر تؤثر عليه... »[4] إنَّ هذا الإحساس الرهيب أدى إلى إصابة سليم بجنون هستيري.

وبالرغم من المأساة التي تعاني منها "سعاد"، فقدانها لزوجها ومرض ابنها جعلها تهمل نفسها ولا تبالي لأمرها، فهمها الوحيد معالجة ابنها من الألم الذي يعتصره، فحتى الطبيب النفساني لم يجد نفعا مع مرض جميل، والحل الأمثل يكمن في صداقة سليم لجميل، الذي جعله يقوى ويستعيد عافيته شيئا فشيئا.

([1]) الرواية ، ص 199 .

([2]) الرواية، ص 143 ، ص144 .

([3]) الرواية ، ص 177 .

([4]) الرواية ، ص 177.

رابعا– الارهاب :

لغة :

« من الفعل المزيد (أرهب) ، ويقال أرهب فلانا : أي خوفه وفزّعه ، وهو المعنى نفسه الذي يدل عليه الفعل المضعف (رهّب) ، أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو (رَهِبَ) يَرْهِبُ رهبةً ورَهْبًا ورَهَبًا فيعني خاف ، فيقال: رهب الشيء رهبًا ورهبه أي خافه. الرهبة: الخوف والفزع .أمّا الفعل المزيد بالتاء وهو (ترهّب) فيعني انقطع للعبادة في صومعته ويُشتق من الراهب والراهبة والرهبنة والرهبانية ...الخ ، وكذلك يستعمل الفعل ترهّب بمعنى توعد إذا كان متعديا فيقال ترهب فلانا : أي توعده وأرهبه ورهّبه وإسترهبه : أخافه وفزعه . ترهّب الرجل : إذ صار راهبا يخشى الله ، والراهب : المتعبد في الصومعة»[1]. وفي القرآن الكريم نجد قوله تعالى :﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل ترهبون به عدوَ الله وعدوكم**﴾[2].قال ابن كثير في التفسير: قوله تعالى " ترهبون " أي تُخوفون،« به عدو الله وعدوكم» أي من الكافرين[3].وقال أيضا في محكم تنزيله : ﴿ **لأنتم أشد رهبة في صدوركم من الله** ﴾[4]. قال ابن كثير في التفسير :« يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله»[5]. ففي القديم لم يستعمل لفظة إرهاب ، والقرآن الكريم لم يستعملها بهذه الصيغة ، إنما اقتصر على استعمال صيغ أخرى لها اشتقاقات لغوية ، بعضها يدل على الخوف والفزع ، وبعضها الآخر يدل على الرهبة والتعبد . فهي الشخصية غير الطبيعية التي بسببها لا يتمكن حامل هذه الشخصية من التأقلم والتعامل مع التغيرات التي تطرأ على حياته وعلى حياة الآخرين .

([1]) ابن منظور : لسان العرب ، ص 436 ، ص 439 .

([2]) سورة الأنفال (الآية 60).

([3]) ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ،تح: سامي بن محمد السلامة، ج2 ، ط2 ،دار طيبة للنشر و التوزيع،الرياض،السعودية، 1999 ، ص 355 .

([4]) سورة الحشر (الآية 13).

([5]) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج 8 ، د.ط ، دار إحياء التراث ، بيروت ، 1985 م ، 1405 هـ ، ص 38 .

✓ **أما التعريف النظري للباحثة "ليلى أحمد عزّت النُعيمي"** فهو:

[أن الشخصية الإرهابية هي الشخصية التي تتسم بسلوك عدواني وتسلطي ودموي ، وهو نمط من السلوك الذي يتصف بالغش والخداع والتهور والاندفاع بدون اعتبار للنتيجة لسلامته وسلامة الآخرين، فضلا عن القسوة الزائدة على الآخرين وتدمير ممتلكاتهم وعدم تقدير المسؤولية مع الاستهتار الشديد وعدم إبداء أي اهتمام .

* **تفسير مدرسة التحليل النفسي :**

تعتمد أراء هذه المدرسة من منظور نفسي وكذلك من خلال السلوك الإرهابي هو نتاج للصراع القائم بين "الهو"وبين"الأنا"، فإذا نجحت الأنا في مساعيها إتزن السلوك وعاش الفرد متكيفا مع البيئة المحيطة به أما في حالة فشلها فقد ينحرف السلوك فيصبح شاذا وإجراميا في اتجاهاته ، أي تكون هناك دوافع مكبوتة في اللاشعور وتعمل بطريقة بعيدة عن وعي الفرد وإدراكه ويتم توجيهه بشكل منحرف ، وهذا يكون حصيلة صراعات لا شعورية يتعرض لها الفرد خلال فترة طفولته المبكرة وتبقي في اللاوعي .

* **تفسير النظرية المعرفية :**

يؤكد العالم " بيك "عام 1999 أن الطريقة التي يفكر بها الإرهابي غير منطقية وغير عقلانية وينعكس في سلوكه ، ويكون من خلال قتل الأبرياء أو تفجير نفسه ، ويكون تفكيره بعيد عن المنطق العقلاني ، ويعمل بالصورة الخيالية الموجودة في ذهنه ، وأن ما يقوم به هو دفاع عن الذات

* **تفسير النظرية السلوكية :**

ترى أن السلوك الإرهابي هو سلوك مكتسب يتعلمه الفرد من محيطه الذي يعيش فيه ، ويؤكد " سنكر " عام 1965 أن للتقليد دور بارز في تعلم السلوك العدواني ، ويكون ذلك من خلال ما يلاحظه الفرد في محيط الأسرة أو ما يشاهده في وسائل الإعلام أو بواسطة التقليد.

*** نظرية الانتقال الانحرافي :**

تعتقد هذه النظرية أن الانحراف عن القيم الاجتماعية ،هو سلوك مكتسب، وأن الطابع الإجرامي لمجموعة من الأفراد المنحرفين يساهم في إتساع دائرة الانحراف والإجرام عن طريق استقطاب أفراد جدد][1].

وفي رواية "أحلام نازفة" نلحظ هذه الشخصية الإرهابية من أول صفحة للرواية إلى نهايتها، متمثلة في "إسكندر" الذي أوقع بجميع من كان له صلة به، فالفطنة والدهاء والحيلة جعلت منه إنسانا محبوبا ، وفي نفس الوقت مخادعا « رشف سليم القهوة ، وقال لوالده:

– إليك آخر الأخبار

– لم يسأل الأب أية أخبار .

تابع سليم :

– النصاب الحيوان إسكندر سرق سعاد، المسكينة سعاد »[2]

يمتلك "إسكندر" أسلوبا ذكيا في ترويض النّاس، وجعلهم يحبونه ويثقون به ثقة عمياء فالحنكة التي يقوم بها في عقد مخططاته تكون دائما ناجحة ، لا تؤول أبدًا إلى الفشل، الانتصار وراء الانتصار فشعاره « هذا العصر المادي الوحشي يتطلب أعصابا باردة وضميرا ميتا، وشجاعة متهورة، حصر شعاره أنهب وأهرب »[3]،فإسكندر ينفي كل ماله علاقة بالأخلاق، فالضمير ميت، والأعصاب باردة، أي أنه لا يبحث ولا يهمه أي شيء، فالعواقب تكون آخر ما يفكر فيها، فعصره المادي تضمحل فيه الأخلاق ولا معنى للأجساد والأرواح التي يستنزف دماءها ويسرق أرواح الضحايا « نصاب ناجح، نصاب سافل ناجح، هكذا هو أنا، كان يشعر إسكندر وهو يهب لانفعالات عنيفة

([1]) ليلى أحمد عزّت النعيمي:الشخصية الارهابية والعوامل المؤثرة في تكوينها ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات www.acofps.org تم الإطّلاع بتاريخ : 20.01.2017 ،الساعة :- 15:55

([2]) الرواية ، ص 22.

([3]) الرواية ، ص 57 .

متناقضة، هي مزيج من خوف إلى حد الموت ونشوة انتصار تُذهب العقل »[1].لقد شبه إسكندر سرقة المال وإغداقه في حياة ليست له، بالخمر الذي يُذهب العقل ويدخلها في متاهات وأحلام زائفة، لقد عوّض الفشل الدراسي بالايقاع بأقرب النّاس إليه والاستيلاء عليهم، ويعتبر هذا انتصارا له « أحسّ أنه لن يستطيع تجاوز تلك الكارثة ، فخسارته لهذا المبلغ الكبير الذي إستدانه من البنك ورهن مصاغ زوجته المسكينة، وطعنة الغدر بأن صديق طفولته نصاب ، سرقه وهرب »[2]. نجد أن رياض قد ذاق المرارة من الناحيتين، مرّة خسارته للمبلغ، وكان قد رهن كل ما تملكه زوجته المحبّة، وطعنة الغدر من رفيقه الذي أصبح بعد ذلك ألدّ الأعداء . فدخل رياض حالة مرضية هستيرية جعلته يقدم على الانتحار للهروب من واقعه المرير للهروب من مواجهة الزوجة المحبة، الصابرة المتحملة لكل الشدائد وكل الإهانات ونوبات الاكتئاب التي يقع فيها .

لم يقدم "إسكندر" على سرقة ونهب ما هو مادي فقط إنما استولى على العواطف والأحاسيس ، على كل ما هو معنوي ،سرق الطمأنينة التي كان يعيشها الأستاذ نجيب مع ابنه سليم «... لقد سرق إسكندر طمأنينة عجوز، وسلام روحه وإحساسه، إنه يستحق المال بعد انتظار طويل طويل »[3].

فالإرهاب إجرام في حق الضحية يمسّه من الناحية الجسدية وتكون عواقبه وخيمة، ومن الناحية النفسية ،حيث أنها تدخل صاحبها عالم لا يستطيع الخروج منه ، ومن بين النتائج المؤثرة على المرء: الفزع،الخوف، المرض النفسي المستعصي علاجه« وحين اختفى حاملا معه نصف مليون المرأة المقطوعة من شجرة، لم يخطر ببالها أبدا أنه لص هارب بل أحسّت بقلق عليه، ولامت نفسها كونها لم تسأله أين يسكن لتذهب للإطمئنان عليه »[4]، وهذا دليل على الأخلاق السامية التي تحملها المرأة والضحية وديعة، فاللص هارب، وهي قلقة عليه، خائفة لعله أصابه مكروه، وهذا إن دلّ فإنما يدل على حسن الظن به وثقتها اللامحدودة ولم تعلم أن العصر المادي لا يؤمن بالأخلاق والضمير.

([1]) الرواية، ص 58 .

([2]) الرواية ، ص84 .

([3]) الرواية، ص 91 .

([4]) الرواية ، ص 91 .

كان "جميل" يعيش أياما من الفرح مع "إسكندر"، لقد تفوق في دراسته وتحصل على ملاحظة ممتاز، ولكن فرحته لم تكتمل، تفجرت القنبلة الموقوتة أمام عينيه لقد تحبهم إسكندر وهرب « لم تظل فرحة جميل إلا ثلاثة أيام، تفجرت بعدها الكارثة حين علم أن إسكندر سرقهم وهرب... »[1]، أحسّ بالقهر والعجز والذل أمام إسكندر الذي وثق به واستأمنه على كل ما تملك أمه، كانت أفكاره تتوهج بالنّار، واشتعل صدره برغبة عارمة في الانتقام وفي نفس الوقت نجد الأم تعيش حالة من العجز وتتظاهر أنها بخير، ولكن إلى متى ستبقى على هذه الحال.

يعيش كل من "سعاد" و"سليم" حالة خيبة أمل قاسية ، لقد قست عليهم الحياة فالنصاب المحتال الإرهابي "إسكندر" أوقعهم في الفخ والمصيدة والمكيدة فكلاهما يحسان بالخيبة ذاتها، خيبة آمال لن تثمر أبدا، فبالرغم أنهما ذاقا المرارة نفسها إلا أن إلتقاء سعاد بسليم الذي يعاني من ألم الغدر والقهر مثلها فهما يتجرعان من كأس الألم، ستجد من بينهم حزن قلبها، لأن من يفهم حزن قلبه يمكنه بسهولة أن يفهم حزن قلوب المبتلين مثله « لا يعرف سليم لماذا طلب من سعاد أن تثق به ؟ ترى ماذا أمكنه أن أمكنه أن يقدم لها ؟ ولماذا عليها أن تثق به ؟ ! إنه ضحية نصاب مثلها تماما ، لعله يحسها مقربة إنهما يتشاركان المصيبة...»[2].طعنة الغدر والألم جعلت كل منهما يعيش تائها هاربا من الواقع ، لا يعرف ماذا يجري حوله، فمذاقها مرٌّ والخروج من هذه المصيبة صعب جدا .

إنّ السلوك الإرهابي الذي انتهجه "إسكندر" سلوك غير منطقي بالرغم من الانتصار الذي حققه ، إلا أن جزاءه محسوم ، إذ كان مصيره الإنتقام منه وكان ذلك من خلال قتل أعز مخلوق لديه.

خامسا – الخوف :

الخوف حالة شعورية وجدانية يصاحبها انفعال نفسي وبدني تنتاب الطفل عندما يشعر بالخطر، ويكون مصدر هذا الخطر داخلي من نفسه أو خارجي من البيئة وسبب وقوع الطفل في المأزق عدم

([1]) الرواية ، ص 142 .

([2]) الرواية، ص 197 .

الإستقرار ، وجود منازعات بين الوالدين فقدان أحدهما ، تعرض هذا الطفل إلى صدمة انفعالية نتيجة لتجربة مؤلمة فيشعر بخوف لا ينتهي في لحظته إنما يمتد لفترات طويلة .

ففي كثير من الأحيان نجد الأشخاص المصابون بالخوف يحاولون الهروب وتحاشي الموقف الذي تسبب لهم بالخوف وهذا ما نجده في الرواية بارزا :« صرخ ماما ، ماما ، وركض باتجاه غرفتها ، لكن النسوة منعته من الدخول ،وحاولت تهدئته، كان يرتعش من الخوف ،شعر أنه خسرها ، كيف اختفت أمه ، قالوا له إنها طارت إلى السماء /.../ ومع الوقت أصبح يحس بخفقان أشبه بارتعاش خفيف في الوسادة ، كما لو أن في لحمتها قلب أم »[1].

فالسبب الرئيسي الذي أدى بنجيب إلى الخوف والهلع فقدان أمه منبع الحنان وسر الأمان ، الأم التي كانت تحرسه بالرغم من تذوقه المرارة ، إلا أنّ هذه الفاجعة جعلته ينضج ويترك عالم الطفولة .

و هاهو "جميل" ينهار ، لقد مات والده الذي كان يوفر له كل ما يحتاج ، وما تبقى له إلا سرّ منبع الحنان ، فلقد كانت كل دنياه ،عوضته بحبها عن غياب والده وقسوته ، لقد أحس بشيء من الذعر والخوف والقلق هذا ما نجده راسخا وموضحا في قوله :« شيء حيوي سُحق في روحه منذ وفاة والده وهبوط مستوى معيشتهم إلى حد كبير ،وبدأ يشعر بالقلق وخوف يشل تفكيره بسبب غياب أمه وتبذلها /.../ كم تمنى لو يصرخ معبرا عن ألمه وافتقاده لها ، أريدك بجانبي...»[2]. فمصدر الخوف داخلي نفسي عميق متجذر في الأعماق في ذات الإنسان البشرية .

هنا نجد العجوز الذي ناهز عمره عن 83 سنة حائر وخائف على ابنه ، إبنه الذي تمنى له الموت من أجل المال ، خسر حب والده لأمر عادي ، ضحّى بشيء معنوي إسمه العاطفة ، عاطفة الأبوة من أجل دنانير يالفضاحتك يا سليم ، أهذا حب أم مصلحته ، أصبح الهجر الإحساس المسيطر على نفسية الأستاذ نجيب .

---

(1) الرواية، ص 15 .

(2) الرواية ، ص 46 .

« وجد نفسه ينسحب إلى الماضي موقظا لكل خسائره الماضية ، كان يشعر أن النهار يفترسه ، وما أن يفتح عينه حتى يشعر أنه سوف يجن من التوتر والفزع ، وثقل المصيبة يُسمره في فراشه » [1] .

لقد أصيب "سليم" بصدمة نفسية عنيفة سبب خسارته لميراثه ، إلى درجة أنه أصبح يواسي حالته الشعورية ، ويحاول ترويض حزنه الذي أصبح هاجسا سمّره في فراشه ، ويجعل يتناول الأدوية المهدئة لكي ينام وينسى الأسى الذي ألم به ، تحولت حياته من إنسان عاقل محب لحبيبته المريضة والتي تركته " أخذها الموت " إلى إنسان مشوش حائر تائه .

« سار إحساسه بوجوده هو إحساسه الدائم بالموت ، ليس الموت هو موت الجسد ، بل هو كوت كل القيم والأخلاق والأمل »[2].

أصبح "سليم" يشعر بالحزن ، لم تعد له طاقة لتحمل الذل والإهانة حتى من أعز الأصدقاء، صار منبوذا ، مغضوبا عليه ، الفشل حليفه .

إذ يقول عزّ من قال في قرآنه المجيد في سورة البقرة : ﴿**ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع نقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين**﴾[3].

إنّ السبيل الأمثل لمجارات الحالة الهستيرية التي يمر بها "جميل" هو: إقناعه بالذهاب إلى طبيب نفساني يفتش في خبايا وأعماق نفسه ،فيما يفكر ،ما السبب الذي جعله يمرض مرضا يصعب معالجته ،مرض يؤدي بصاحبه إلى الجنون ،ومصدر الحنان والتعب تفقد كل مقومات حياتها فقلبها مطعون بالألم وفي المقابل ابن يأمل أن يتعافى من شياطين تعذّب روحه.

([1]) الرواية ، ص 105 .
([2]) الرواية ، ص 127 .
([3]) سورة البقرة (الآية 155) .

سادسا – الانفصام : "الفصام"

يمكن القول أن انفصام الشخصية حالة من المرض العقلي والنفسي، وسبب هذا المرض حدوث خلل في وظائف الدماغ ؛و قد يكون المرض عبارة عن اضطرابات وجدانية وسلوكية وعقلية ولكن تكون بصورة متفاوتة من شخص إلى آخر أو بصورة متفاوتة لدى نفس الشخص .

نلمح في الرواية عبارات دالة على وجود انفصام للشخصية فمثلا شخصية المراهق "جميل" ابن "سعاد"، حيث نجد الأم خائفة على ابنها وتريد معرفة سبب مرضه « كانت برفقة ابنها جمال إلى دمشق لاستشارة طبيب نفسي، المراهق المعذب بشياطين روحه، هكذا كانت تفكر سعاد وهي تشعر أن قلبها متورم ويرشح دمًا »[1]،فالأم تلاحظ ابنها تارة يكون ابنا مطيعا ، محبًا لأمه وإخوته وتارة يتحول على إنسان قاسٍ ، يتفوه بكلمات سامة ، قاتلة بنبرة حادة ، فيها نوع من الحقد والبغض ، نوع من الانتقام، نوع من الكراهية والمسرة فسليم يتخبط بين عالمين، عالم يعيش فيه وعالم غريب عنه « تعرف أن ما تفكر به خطيئة بحق الذات الإلهية الكاملة، أتتجرأ وتعترض على مشيئة الخالق، لكن هل بإمكانها أن تمنع هذا السؤال؟ خاصة وهي ترى ابنها الحبيب يتعب من شياطين روحه، تتفرج على عذابه يذله ويحوله لشخص آخر كئيب يفكر بالموت والانكفاء عن كل فعاليات الحياة »[2].

إنّ خروج "جميل"عن واقعه الحقيقي وولوجه في عالم آخر يجعل منه شخصا آخر، إنسان يشعر بالقهر والحرمان، يحس بالفشل واليأس والاكتئاب « تقسّم سعاد حياتها إلى مرحلتين أو مستويين المرحلة قبل وفاة زوجها، والمرحلة بعد وفاته، تشعر بانفصام تامٍ إذ لا يوجد أي تشابه أو تقاطع بين المرحلتين، تبين المرأة التي كانت قبل وفاة زوجها وما صارت بعد وفاته »[3]؛مما أدى بها إلى الدهشة والتساؤل عن ما يدور حولها ، وما الأسباب التي أدت بها على الولوج في هذه المسيرة الحياتية المريرة ، حيث نجد الزوج اللامبالي،الذي يحصر وظيفته في تأمين الحاجيات المادية لا غير« نوب البكاء المفاجئة تريحها وتعطيها انفراجا نفسيا مؤقتا ن لتمكن من استئناف حياتها، وكأن كل شيء على ما

([1]) الرواية، ص 23 .
([2]) الرواية ، ص 26 .
([3]) الرواية، ص 29 .

يرام»[1]، تبكي "سعاد" لعلها تخرج من حالتها النفسية الهستيرية، فنوبة البكاء المفاجئة تعتبرها انفراجا وكأنها دواء وفترة نقاهة، تخرج بها على عالم آخر « لم تكن الأم المسكينة ولا ابنها المريض بقادرين على فهم اضطراب المزاج الحاد لدى المراهق، ما الجرثوم الذي ينخر في روح هذا اليتيم ويجعله منسحقا تماما ومبتليا بشياطين تعذب روحه »[2]. فسعاد هنا تبحث عن الأسباب التي أدت بابنها إلى تسممه وعذابه ، لقد وصفته بجرثوم ينخر جسده ، يعمل على سحقه وجذبه إلى الوراء ، إنه يعيش حالة انفصام ، فجميل الشخص ذاته لا يعرف السبب ،لقد كره نفسه ونفر منها،فتارةً يكون منسجما مع عالمه محبا لإخوته وأمه، وفجأة ينقلب ويصبح تائها يقول كلام فاحشا لا تحبذ الآذان سماعه ، وبصوت عالٍ، وبنبرة حادة مفزعة ومخيفة إلى درجة خوف إخوته منه « يشعر بالضجر والارتباك وبأن اللغة تخونه، وبعد معاناة وحيرة تمكن من إختزال حالته بعبارة عقلي يؤلمني... إنه يحس بألم، لكنه يختلف عن ألم الجسد ولم يعرف ألم الروح لأنه لم يسمع بهذا التعبير، لكن ذهنه مرهق دوما وبحالة صراعٍ مع الشيطان المتنمر بين فخذيه...»[3].لقد ورث جميل هذا المرض من أبيه ، إنه يعيش حالة انفصام ، فهو وحيد لا يعرف حتى مواجهة المرض ، واستئناف حياته .

وفي الوقت نفسه نجد الشخصية الماثلة بشخصية "رياض"المنهار عصبيا، الذي يتلفظ ويتفوه بكلام غريب الأطوار بفظاظة وفضاعة ، فهو يدفن خوفا عميقا وقلقا يكبر ويتعاظم مع الوقت، وعندما تنتهي تلك النوبة العصبية يسترجع رياض قواه العقلية ويسقط أسير حالة من الخجل الشديد « كان يحسّ أنه مريض ويحتاج لعون ما ، ويشعر أن روحا جامحة عنيفة تتقمصه ما أن يباشر نوبة الغضب ، وأنه يعجز عن إيقاف تلك النوبة ، بل يعجز في كبحها ومنعها من الانطلاق ، لكن خجله واعتداده بنفسه كانا يمنعانه من طلب العون من والديه »[4].

([1]) الرواية ، ص 32 .

([2]) الرواية ، ص 41 .

([3]) الرواية، ص 50 .

([4]) الرواية ، ص 81 .

إنّ الحالة التي وصل إليها "رياض" تكاد تفقده عقله فهو يتصرف تصرفا لا معقولا، لم يعد يفهم أي شيء ، ولا يعرف متى وقع الحادث ، وكيف وما هي عواقبه ، إلا بعد برهة، وعندما يستيقظ يشعر بالخزي والذهول ، ويُقسم أنها المرة الأخيرة .

يجري حوار بين الأستاذ "نجيب" الأب العجوز وبين ابنه "سليم" الابن المحب للمال ، ويدور الحوار عن خوف الأب على ابنه وببرودة أعصاب يرد سليم على ابنه « أستجمع قواي وأقول لك: لكني قلقت عليك، لا أملك الجرأة لأعاتبك وأسألك ألا تقلق على والدك العجوز والمبتلي بمصيبة !!

يردّ: لا تقلق عليّ، لا تقلق ، اتركني وشأني ، أتركني أصارع شياطين روحي»[1]، يتخبط "سليم" ويصارع أفكاره ،وخوفه وقلقه، إنه لم يعد يعيي ما يحدث أمامه ،فخسارتهم للمال أدخلته قفصا مظلما يصعب الخروج منه ،وتحاول سعاد إخفاء السر الذي يخبأه ابنها عن طريق الطبيب النفساني الذي أرشده إليها المحتال "إسكندر"« اطمئني سيدة سعاد ،مرضه واضح جدا وهو يسمى ذهان هوسي اكتئابي ،أو المرض ثنائي القطب ،لأن المصاب به يتعرض لهجمات من التفاؤل المفرط والنشاط الفوار، تعقبها فترات همود واكتئاب وسوداوية في المشاعر والأفكار ورغبة بالموت...»[2]

دخل "سليم" أيضا حالة انفصام كلي فبدأ يتخيل صورا مقرفة مقززة ،« بينما سليم يصعد الدرج تقمصه شعور أنه بزاقة، وأتاه إحساس مؤكدا أنه أقرب ما يكون لتلك الفصيلة من الرخويات ، وفرز خياله صورا مقززة لأحذية خشنة تدوس أكواما من البزاقات العريانة الخارجة من دروعها »[3]، كان يتصور نفسه كلبا أو صرصورا يا له من مرض يصيب العقل والنفس والجسد يجعل الإنسان يخرج عن نظافة حالته المعهودة الطبيعية .

إنّ الطموح الذي يعتري أم جميل هو معرفة حقيقة مرض ابنها المراهق، ولماذا اختار الله ابنها من دون الآخرين، ما ذنبه ليصارع الألم والخوف والقلق؟ تتساءل هل حقيقة يوجد مرض ما يطلق عليه الشياطين، وما ذنب إخوته من تلقيهم الشتائم وتحطيمه للأشياء ؟ ! « لكن سعاد لا تسمح لنفسها بالانهيار ، بل تزداد قسوة وصلابة مع الزمن، وكلما أمعن جميل في الضعف واليأس زادت سعاد

([1]) الرواية، ص 102 .

([2]) الرواية ، ص 136 .

([3]) الرواية ، ص 176 .

قوة،ازدادت متانة وشراسة ، كما لو أنها في معركة حقيقية بينها وبين الشيطان المتلبس روح ابنها ، تشعر تماما أن وجودها اختزل في عبارة إما أنا، وإما أنت أيها المرض الذي يسحق ابني »[1]، حيث كان ابنها المريض« يشعر أنه في قبضة قوى خفية تذله وتسيطر عليه، ولا مجال لردها، يشعر أنه متّخم بالرذيلة، ومشبع بالهلاك، وكانت صور علاقته مع إسكندر تحرقه طوال الوقت »[2]، لقد هزّ إسكندر كيان جميل، فأصبح يشعر أنه في قبضة أيدي خفية، مسيطرة عليه، لم يعد يعي سوى الألم والقهر والانهيار على درجة الغثيان « لا يحتمل عقلك أن جميل قد يقدم على قتل نفسه ، لأن الطبيب النفسي قال أن حالته النفسية متدهورة جدا رغم الدواء،وبأنه صار يخشى عليه انفصام الشخصية»[3].

ومن بين النتائج التي يتحصل عليها مرضى انفصام الشخصية الإقدام على القتل. وقد خمّن بقتل نفسه باعتبار أن الطبيب ذمّ حالته وقال بأنها حالة مستعصية ، صعبة المعالجة بالرغم من وجود دواء، فهو لا يؤثر فيه ،« فحين يأكل يشعر أن شخصا أخر يأكل بدلا عنه، وحين يجلس في غرفته تتأمل الأثاث الأبدي ، ويوغل في الماضي أو يحاول تخيل لمستقبل، تتلبسه مشاعر حيوان في قفصٍ»[4].

إنّ الحالة التي يعيشها "سليم" حالة تدهور في الحياة، لقد بدأ يتصور الأثاث ويشعر أنه شخص آخر، لقد سيطر المرض على قلب وذهن سليم، فأحس بالعجز والقهر، الكراهية والتذمر تجاه حياته، إن الحياة لم تعد لها أية أهمية قيمة « الأيام الطويلة التي مرت بعد وفاتك، وروحي الساكنة في الجحيم، ووعي كم أنا ضعيف وخاطئ وغير متزن، واشمئزازي من نفسي، وشعوري المروع بأنني في فصام مع ضميري ومبادئي...»[5]، يعيش سليم حالة انفصام وحيرة فهو لم يعد يفرق بين الأخلاق والضمير والأشياء المادية، إنّ حبه للانتقام من إسكندر أعمى بصيرته وأغلق باب العودة إلى محاكاة الضمير ومراعاة الأخلاق.

([1]) الرواية، ص 185 ، ص 186 .

([2]) الرواية ، ص 200.

([3]) الرواية ، ص 204 .

([4]) الرواية ، ص 209.

([5]) الرواية ، ص 221 .

وحوصلة لما تمّ ذكره ، نستنتج أنّ : سيمياء الأهواء تندرج في مجال السيمياء ،و تركز بدرجة أولى على الزوايا التى أهملت في الدراسات السيميائية العملية،ألا و هي العواطف والأهواء ،و تتمظهر هذه الأخيرة في دلالات و معاني موزّعة إلى شحنات إيجابية (هوى الحب) ،و أخرى سلبية (هوى الكراهية).

الفصل الثاني :

البنية السردية الهووية

1– الخطاطة الاستهوائية .

2 – البرامج الاستهوائية .

3 – النسق السردي وبناء الأحداث .

الفصل الثاني

البنية السردية الهووية

يحتل الخطاب مكانة مرموقة في الدراسات السيميائية،هذا ما جعله يحظى باهتمام الدارسين وتشعب آراء الدارسين طرائقهم في تحليله واستنباط مكوناته النصية، وقد تناولوا دراسة المعنى النصي من خلال بنيتين منهجيتين: بنية سطحية؛ تعتمد على مكون سردي ومكون خطابي للكشف عن المسارات السردية وحركة العاملين، وبنية عميقة تعمل على رصد جملة من العلاقات تُنظم قيم المعنى في المكون السردي سعيا منها لتفجير البعد المنطقي والمفهومي للبنية.

1- الخطاطة الإستهوائية:

وتقوم على العناصر الآتية:

أ – وضعية البداية:

لكل عمل فني بداية ووسط ونهاية، وتأسيسا على ذلك كانت الرواية تتحرك تحركا رزينا من بداية ثابتة؛ بمعنى أنّ الكاتب الروائي يخصص من الرواية فصلا كاملا هو الفصل الأول، يوجز فيه الأحداث التي دارت قبل أن تبدأ أحداث القصة.

والبداية تعني « الحدث الذي تبتدئ به عمليّة التغيير في "الحبكة" أو "الفعل"، وهذا الحدث لا يتبع غيره بالضرورة وإنّما يلزم أن تتبعه أحداث أخرى.لقد أكّد دارسو السرد على أنّ البداية التي تنتقل من الجزء الساكن من النص أو حالة التوافق والانسجام إلى حالة الإثارة والتنافر والنزاع، تقدم للسرد قصدا ذا نظرة مستقبلية إنها تثير عدة إمكانيات، إن قراءة السرد تعني ضمن أشياء أخرى ، التساؤل

عمّا سوف لا يتحقق »[1].فالبداية هي أول شيء في الرواية،حيث نجد الوتيرة النفسية للذات الاستهوائية المتصاعدة.

فالوضعية الافتتاحية في الرواية تتمثل في نمو عاطفة الحقد والكراهية والغضب في نفسية سليم، هذه الشخصية التي وجدت نفسها ضحية لهذا الواقع الغامض؛ واقع المادة، وفي الحقيقة الروائية الحياة لم تغدر به بل بوالده العجوز المسكين الذي وثق بلصّ وائتمنه على أمواله، ليجد نفسه مُجبراً على مواجهة عواقب ثقته المطلقة في زمن لا وجود فيه لخُلق الوفاء والإخلاص، لكن حقد سليم الابن كان ثلاثي الوجهة: حقد على الزمن، حقد على الوالد،وحقد على النصّاب إسكندر، فلا شيء يغوي كالانهيار، فانهيار الوالد يعني انهيار ثروته وضياعها وبالتالي ضياع حلم الابن في امتلاك الميراث، هذا الضياع والانهيار حطّم سليم وأثار غضبه وحقده وفتح أبواب كراهيته لكل شيء وقد كان انفعاله ظاهرا على شكل تصرفات لا عقلانية من صراخ ونحيب هستيري ، كما ينكشف شعور الخوف على الذات الاستهوائية "سليم" بالانفعالات الجسدية والحركات، خوفا على المستقبل« انفجرت حنجرته بكلمات أشبه بالحمم البركانية،كان يصرخ: لماذا تتكالب علينا المصائب ؟ !»[2].ذلك كله جعل سليم يتصارع مع عاطفة أقرب إلى الجنون، فكل ردود فعله ماهي إلاّ تعبيرات خارجية للحالة النفسية الداخلية للذات «لم يعد سليم يميز بين مشاعر الحقد على الزمن، والحقد على والده، والحقد على النصّاب، كان يحس أن حقده يتضاعف ويتكاثر كل لحظة، كنبات سام يملك قدرة سحرية على الامتداد والتكاثر، ولم يتحرك في أعماقه أي شعور بالرأفة والرحمة على والده المنهار »[3]،فطمعُ سليم أعماه وجعله ينسى أن العجوز لا توجد له القدرة على تحمل الإهانات ،فتكاثرت الأحاسيس الحاقدة في نفسيّة سليم وامتدّت لتغطي كل الجوانب الإيجابية في روحه من رأفة ورحمة وشفقة.

([1]) جيرالد برنس : قاموس السرديات ، ص 26 .

([2]) الرواية ، ص 70 .

([3]) الرواية ، ص 08 .

ينتاب الذات الاستهوائية "سليم" الشعور بالخوف والقلق والألم الطاعن الذي يسيطر عليه كليًا دون أن يترك له ثقبا يفر منه .كذلك نجد شخصية سعاد، فبداية الرواية تُظهر لنا سعاد على أنها امرأة صامدة في داخلها إحساس بالخوف ،خوف كان يحضرها لحظة تفكيرها في مستقبل أبنائها،هذه الثانية كانت ضحية النصب والاحتيال مرّة أخرى إسكندر ينجح في الخداع والإطاحة بسعاد« لم تسمع سعاد بفرار إسكندر إلا بعد أيام من دوّي الخبر في المدينة »[1]، لتسكنها مشاعر الخوف والقلق فور سماعها لدوّي الخبر في المدينة، خبر فرار إسكندر وسرقته لأموالها لتبدأ رحلة شقائها الأبدية، فقد كان هدفها في هذه الحياة هو إعالة أبنائها والعمل لأجل راحتهم على حساب تعاستها، لكن شعورها بتورُم قلبها وتهالكها من التعب ومن إحساسها بالانهيار لم يمنعاها من الصمود والتحلي بالقوة والمواجهة.

فعاطفة الحب الكبير الذي تُكنُّه لأبنائها شجّعتها على الصمود والتحلي بالصبر والرضى أمّا عن الخوف فكان نتيجة لقلقها على مستقبل أبنائها وخاصة ابنها جميل الذي أثّر عليه الحدث تأثيرا سلبيا ليدخل في صراع مع نفسه ، مرض مستعصي جعله يعيش حالات انفعالية مرعبة وغير عقلانية، يصحبها انفعال جسمي بسبب مؤثرات خارجية هكذا كانت بداية الرواية عبارة عن انفعالات للشخصيات الرئيسية فهي كلها كردود فعل لهذا الواقع ، واقع النصب والاحتيال والخيانة والخديعة ، فكان الحقد والغضب والخوف والقلق مشاعر طاغية في نفوس الضحايا.

ب – **الاضطراب** :

بعد ذلك تحضر لحظة المأساة أو العقدة أو الاضطراب، وما يهمّنا في دراستنا الجوانب العاطفية أي اضطراب العواطف والمشاعر ، فتميزت عند الذات الاستهوائية "سليم" بالتضاعف والتفاقم والتأزم لعاطفة الحقد، ولكنه حقد منصبٌّ على إسكندر النصّاب فقط، حيث أن الجوّ تلطّف بينه وبين والده وذلك أملا منه في إيجاد حلّ لمشكلهما المشترك ومصيبتها المشتركة « لكنّه ظلّ معجبا بقدرة

([1]) الرواية ، ص23 .

والده على الاحتفاظ بعزة نفسه، إنه متماسك رغم هول الدمار الذي لحق به، ولم يتفوه بأيّة شتيمة أو كلمات نابية، ثمة سمو ورقي في روح والده »[1].فصمود الوالد وصبره على شتائم ابنه جعلت قلب هذا الأخير يحنّ ويستطرد شبح القسوة والحقد الذي يسكن كيانه كذلك تماسك الوالد أثار إعجاب الابن وحثه على الهدوء والتفكير دون صراخ أو نحيب ،كما أنّ خبر نصب إسكندر وسرقته لسعاد جعل سليم يتمالك نفسه كونه الضحية الأولى والوحيدة ، وكون والده لم يكن المخدوع الأول والأخير من طرف إسكندر،ليتطور حقد سليم على النصاب ويتضاعف ليصل بنفسية صاحبه إلى أفكار شيطانية ومشاعر أكثر من حاقدة،أصبح يفكر في التخلص من المحتال إسكندر، يفكر في الانتقام واسترجاع ما ضاع منه ومن والده واسترجاع أمواله وثروته وبالتالي مستقبله الزاهر الذي طالما حلم به، وبالتالي فمشاعر وعاطفة الكره والحقد لدى سليم تطورت لما هو أشد وأعظم من ذلك كله ، تحولت من حقد بسيط تصاحبه انفعالات إلى تفكير هادئ وتدبير لخطّة محكمة للإطاحة بإسكندر والانتقام منه،كذلك يظهر الاضطراب في نفسية جميل الابن البكر لسعاد ،الذي كان يعاني حالات نفسية داخلية في البداية لتتطّور وتتصاعد الوتيرة النفسية عند الذات الاستهوائية " جميل " وتظهر في شكل انفعالات عبارة عن تصرفات لا إرادية من شذوذ وممارسة للعادة السرية وفصام مع الذات ، أمّا عن سعاد فتحول خوفها وقلقها إلى عمل متواصل، فقد ظلّت متمسّكة ببصيص أمل من أجل أبنائها ، فأصبحت تعمل وتثابر غير مبالية بحالتها وانهيارها التام «فرغم تهالكها من التعب وإحساسها بالانهيار ، فإنها لم تكفّ عن الابتسام لابنها من وقت لآخر، والطبطبة على يده، وتكرار حديثها ذاته بأنها واثقة أنّ الطبيب سيساعده وسيعطيه دواء يخلّصه من الأفكار السوداء التي تُعذّبه وتشّل طاقته »[2]،فهذه هي عاطفة الأمومة، فسعاد الأم تُخفّف عن ابنها المريض وتقف إلى جانبه وتسانده وتعمل طوال اليوم لأجله وأجل إخوته غير مبالية بنفسها وبانهيارها التام .

([1]) الرواية ، ص 22 .

([2]) الرواية ، ص 23 .

ج – الصراع :

يعتبر الصراع من بين أهم العناصر التي تُبنى عليها الرواية «هو الصراع الذي ينخرط فيه الممثلون، إنّ الممثلين يمكن أن يصارعوا القدر أو المصير أو الوسط الاجتماعي أو الظروف المادية أو ينخرطون في صراع مع بعضهم البعض "الصراع الخارجي" ويمكن أيضا أن يدخلوا في صراع مع أنفسهم "الصراع الداخلي"»[1]،فالصراع يُولّد انفعال بين الشخصيات، فهو يحدث بين ذاتين مختلفين ، يحمل كل منهما نوع من البغض والحقد، أو صراع بين الذات الداخلية للإنسان ،فالإنسان يصارع قَدره المشؤوم،الحامل لصِبغات سلبية تؤثر بالدرجة الأولى بكُنهِ الإنسان أي عواطفه وأحاسيسه.

في الرواية نجد صراعا عنيفا بين الشخصيات البطلة ، فإسكندر يصارع قدره فهو يعيش حالة خوف من المستقبل، عصر المادة فحالته الميسورة المعدمة جعلت منه شخصا يصمّم ويخطط للنهب والاحتيال ، لتوفير الحاجيات المادية ، حامل شعار مفاده "انهب واهرب" ، في حين نجد سليم ، تصارع طرفين ، يصارع والده العجوز الذي خسر الورثة ، ويصارع السارق المحتال إسكندر الذي قام بالفعل،فعاطفة الحقد والبغض النابعة من فحوى صدر سليم جعلته يعيش حالة انفعالية داخلية وخارجية ، داخلية تمثلت في إصابة سليم بانهيار عصبي أدّى به إلى التفكير بسريّة تامة في الانتقام من المحتال إسكندر ، وخارجية تمثلت في الصراخ الهستيري ، وخروج الرُذاذ من فمه أثناء السّب و الشتم للوالد العجوز الذي لا دخل له ، لقد وقع عليه فعل الفاعل دون دراية .

إنّ سبب الصراع الرئيسي الذي تدور حوله الشخصيات أو الممثلين جاء نتيجة للظروف المادية المختلفة ، فإسكندر يصارع زمن أو عصر المادة ، ويصارع المرض النفسي أو الذات الاستهوائية المحبّة للثروة والامتلاك ، الذات التي أصبحت تحاور وتخاطب نفسها لندمها على اقترافها الجرم المشهود «... وسقط في حالة مستعصية من الأرق الذي لم ينفع معه المنومات ، وسيظل كل حياته ضحية أرق معنّد »[2] يعيش إسكندر حالة صراع ، صراع مع الأهواء والعاطفة المتشنجة ، غير الواعية للجرم

([1]) جيرالد برنس : قاموس السرديات ، ص 36 .
([2]) الرواية ، ص 56 .

الذي تقترفه، لقد أصبحت حالة هستيرية، لا تعرف الصحيح من الخطأ إلا بعد استيقاظها من حلم غير دائم ،ونجده يعاتب ذاته ويلومها « نصاب ناجح ، نصاب سافل ناجح هذا هو أنا، هكذا كان يشعر إسكندر وهو نهب لانفعالات عنيفة متناقضة »[1].يشعر إسكندر بوجود صراع داخلي يختنقه ، صراع بين الهوى"العاطفة "والعقل ،فبالرغم من نشوة الانتصار التي تُذهب العقل إلا أننا نجده يتسوّل العاطفة ، لقد هيمنت على مشاعره تعاسة لم ينجح في تبديدها .

في حين نجد الشخصيات المحورية متجسدة في شخص سليم ،وسعاد ،وجميل ،فكل هاته الشخصيات الممسرحة، التي تحرك بدورها مسار الأحداث تعيش وتمر بمرحلة صعبة مرحلة تخوض فيها هاته الأخيرة صراعا بين الأهواء "الذات "وبين الموضوع" حبّ التسلّط "و" حبّ المال ".

فسليم يصارع والده الذي فرّط في الثروة،في المستقبل ،وإسكندر المحتال،صاحب الحنكة والسرية المتمرس على الأدوار الإجرامية ،لقد تعلّم هذه الدروس اللاأخلاقية من أستاذه المشهور "مصباح السبع"،إلى درجة الوصول إلى نهبه وسرقته والاستحواذ على ممتلكاته، وأفكاره « عاش إسكندر صراعا مزلزلا في روحه بعد تلك الحادثة ، وتمزق بين نشوته وفرحه بسرقة المال ، وذهوله من خيانته لسيّده الذي يعبده »[2] فالصراع ليس بالضرورة أن يكون واقعا بين ذاتين متصارعتين، قد يحدث صراع بين الذوات أي أن هناك عواطف متصارعة ومتداخلة فيما بينها تبحث عن إجابات للتساؤلات التي تطرحها الأعماق الاستهوائية بكل حذافيرها ، وكأن الذات الاستهوائية تعيش طورين مختلفين، هذا ما نجده عند "إسكندر، سليم ، جميل "، ذات هاوية مُحبَّة وذات مستنكرة نادمة على ما فعلت.

فالذات "إسكندر"، تسعى لتحقيق الموضوع "توفير الحاجيات المادية" ، وفي نفس الوقت نجد ذات حاقدة وباغضة على الحالة النفسية التي آلت إليها،فلقد انتفى الضمير وأُعدمت الأخلاق ، فلا يوجد في قاموس إسكندر لفظة " ضمير ، أخلاق ، إيمان ، قوة ... ".

([1]) الرواية ، ص 57 .

([2]) الرواية ، ص 79 .

والذات الاستهوائية الخائفة من المستقبل وما يخبأه لها "سليم "، ذات تصارع من أجل استرجاع الثروة، استرجاع ما تمّ تحقيقه بعناء وصبر وصمود .

في حين نجد شخصية صامدة متحدّية للصعوبات، مصارعة للأهواء، طامحة لتحقيق مستقبل مزهر، شخص "سعاد"، فصراعها كان صراعا هادئا، فهي تريد العيش بسلامٍ واطمئنان، راجية من الإله تحقيق آمالها، فصراعها عبارة عن أملٍ، إذ تُصارع إسكندر من خلال الدعوات .

لقد قام "إسكندر" باستغلالها ، والأدهى والأَمَرّ أنه قام باستغلال فلذة كبدها " جميل " ، لقد استغلّه جسديا ومعنويا ، كان سلاحها الدعوة والتضرع للإله " اليسوع " بمساعدتها وإخراجها من المأزق الذي وضعت فيه هي وابنها الذي أصبح يعيش صراعا داخليا " فمرضه النفسي جعله ضعيف الارادة وعديم الثقة بنفسه ".لقد أصبحت الذات الاستهوائية جميل "على قناعة"بأن السافل والمُدنّس إسكندر كانت غايته قتل الروح قبل الجسد ، ونجح طبعا في ذلك فمرضه "الشذوذ الجنسي"كان مسيطر على نفسيته ،فهي حالة نفسية لا إرادية "لا واعية " = "اللّبيدو ".

فالرواية تُبنى على صراع خارجي وداخلي، فالجانب النفسي يلعب دور فعال في بناء الرواية، والمزاوجة بين الفعل "الحدث" و"الأهواء" فنجد جميل يتجاذب أطراف الحديث مع كيانه إذ « كان وحش الغريزة يتخبّط في داخله...»[1]، فجميل يعيش وسط دوامة مفرغة،يعيش صراعا داخليا شديدا، يصعب على الاختصاصيين علاجه كما صعب عليه الافصاح عنه « وأكثر ما آلم جميلا أنه لن يتمكن أن يبوح بتلك الممارسة لأحد...»[2].الحادثة المفزعة التي ألمت بروح وكيان جميل تركته يُشلُّ في أرضه ،لا يعرف كيف ينتشل أجزاء كيانه "الذات" وجسده ويخرجهما من القرف والدنس اللذان وقعا فيهما، تلك الذات المستهوية صاحبة الوتيرة النفسية المختلّة والمضطربة تمرُّ بمرحلة تكون حاسمة في مجرى حياته، مرحلة عنيفة، تعيشها الشخصيات الممسرحة للأداء، والتي تهدف بدورها إلى خلق حبكة تتشابك الأحداث من خلالها، لتوليد أحداث مشوقة ومثيرة لسيرورة الحكاية، فالشخصية

([1]) الرواية ، ص 189 .
([2]) الرواية ، ص 191 .

الشريرة المتمثلة في شخص وذات "إسكندر" تعمل بدور جدّ فعال لانتظام الرواية وعدم الإخلال بتوازنها، فدوره اللاّمنطقي ،اللاّعقلي، اللاّواعي، جسّد الواقع الذي آل إليه عصرنا "عصر المادة" فالثروة تجعل من المرء امرءا طاغيا، غير مبالٍ للعواقب الوخيمة المنجرّة عن اتّباع العاطفة وانفعالات الأهواء. فالروائية استغلّت جانب اللاّشعور في الإنسان وجعلته العنصر الرئيسي للممازجة بين الأفعال "الأحداث" والانفعالات للتعبير عن واقع ألمّ بالمجتمع العربي المعاصر مجتمع كثُر فيه الانحلال الخلقي، الآفات الاجتماعية المستعصية ،والأمراض النفسية المزمنة ،أي أنّ الذات الإنسانية تقطع شوطين مختلفين متصارعين ، ذات داخلية مصارعة للأهواء والانفعالات، وذات خارجية دورها تمييز الخير من الشر، وفي بعض الأحيان نجد الذات الخارجية المصارعة تعطف وتشعر بالندم لقيامها بالفعل الشيطاني، وتفكيرها بأفكار سوداويّة مناقضة تماما للمبادئ والأخلاق التي جُبِل عليها العربي . هكذا هي الرواية ،تحوي على عناصر مختلفة كل عنصر على حِدى يؤدي مهامه ودوره للحفاظ على تسلسل الأحداث وترابطها واتساقها ،فالصراع من بين العناصر التي تعتمد عليها في بناء أحداثها .

د – الحل :

أمّا فيما يخصّ الحل، فنجد في الرواية حلولا تكاد تكون مشكوكا فيها ،إذ لا يمكننا التوصُّل إلى نتيجة نهائية تُمكّننا من معرفة مصير كل شخصية من شخصيات الرواية ، فالمعروف والواضح أن مرحلة ما قبل النهاية ، تكون مرحلة حاسمة ، حيث تنتقل انفعالات الشخصيات مثلا من هوى الكراهية إلى هوى الحب ، لكن في هاته الرواية التي بين أيدينا نلحظ حلاًّ مشكوكا فيه، فهو ليس «ناتج حل خيوط العقدة. النهاية»[1].أي أن هناك صراع،هذا الصراع سيُولّد بالضرورة ما يسمى بالعقدة والحبكة هذا ما يؤدي إلى الإثارة والتشويق في الرواية، لكن الصراع وبالرغم من الشحنات العاطفية السلبية التي يحملها إلا أنه في الأخير يتوصل إلى حل نهائي، حيث تُهيمن مشاعر الحب والعطف على مشاعر الحقد والبغض، تهيمن انفعالات هوى الحب على انفعالات هوى الكراهية وهذا ما لا نشهده في الرواية؛ إذ نجد الأمل يحلُّ محلّ الحلّ النهائي بشكل مفتوح وغير محدد.

([1]) جيرالد برنس : قاموس السرديات ، ص 43 .

فالأمل هنا متجسّد في ذات "سعاد" على غرار الشخصيات البطلة "إسكندر، سليم، جميل" فإسكندر يرى الحل في الهروب من الواقع المرير، والحياة الضنكة التي مرَّ بها « منذ نجاحه في الهرب حاملا ثروة ضحاياه ، أحسّ إسكندر أنه صار إنسانا آخر ، وبأنه يعيش حياة إنسان آخر ... »[1] .

لقد سرق إسكندر الثروة ،وكان سبيله الأمثل للخروج من المأزق الذي وُضع فيه هو الفرار والهروب إلى قطر ، هدفه العيش عيشة هنيئة ، ومسح تلك الصور من خياله فهو يسعى جاهدا إلى تحقيق مبتغاه ، و إدخال الطمأنينة إلى قلبه، لكن هل الهروب من هذا الواقع ،ومسح تلك الصور من خياله، سيُحقق له حقا السعادة ؟!

ألن يشعر إسكندر بالندم ، ألن يداهمه شبح العجوز،والأرملة الفقيرة التي تسعى لإعالة اليتامى؟!.

كيف ستكون حالته النفسية ،هل سيعيش حالة مضطربة أم هادئة ؟

إنّ الذات الإستهوائية "إسكندر" تعيش توترا و انفعالا، سواء أكان ذلك على المستوى الداخلي"الذات" أو الخارجي"المظهر" ،الجسد"،لقد أحسّ إسكندر بانفعال وندم رغم نشوة الانتصار التي تُذهِب العقل، فعاطفة الندم والخوف جعلته مرتبكا نفسيا ومضطربا عقليا .

أمّا فيما يخصُّ الذات الإستهوائية "جميل" ،فلقد كانت تفكيرها الدائم هو تمني الموت ، أيعقل أن تمني الموت حلٌّ نهائي للخروج من الأزمة التي وقع فيها ؟!. ألا يعتبر هذا هروبا من الواقع لأنّه لا يُجيد المواجهة وإطلاق العِنان للذّات لكي تُحرّر نفسها من الحالات النفسية المكبوتة ،التي انجرّ عنها الدخول في أزمات نفسية مستعصية « لم يكن يعرف كيف يعبر عن حالته ، ولا كيف يصف أزمته في سنّ البلوغ إنه لا يعرف حتى المفردات اللغوية المستعملة لوصف هذا العمر...»[2].إنّ الرواية لا تعترف بوجود حلّ نهائي، فالشخصيات طامحة ،وكل شخصية تُعبّر عن آلامها و مآلها .وكيف كانت وإلى أين آلت ، لقد غيّرها عصر المادة ،من مُحبّة هاوية للحياة ، إلى حاقدة، باغضة ، كارهة ، نادمة على

([1]) الرواية ، ص 53 .

([2]) الرواية ، ص 49 ، ص 50 .

وجودها.« يتمثّل البُعد النفسي في اسْتنكاه المشاعر الانسانية المختلفة ،واسْتقطار الأحاسيس الوجدانية التي تحسُّ بها الشخصيات الروائية »[1].والرواية رحلة طويلة تمرُّ بدورها بمراحل شيّقة ،حيث تتصارع الشخصيات للتشويق والإثارة ثم تبدأ تدريجيا بالانفراج" الحل ".

لجأ "سليم"إلى أسلوب المراوغة، فمروره بالتجربة النفسية الصعبة جعلته يتعلّم الحِنكة والفِطنة ، والعمل في سريّة ، أصبحت حياته مشابهة تماما لحياة إسكندر، لقد استغل جميل ومرضه النفسي ، ليصل إلى هدفه أي "الحل"، فالحلّ المثالي الذي توصّل إليه هو معرفة الأسباب التي تؤدي بجميل إلى دخوله في نوبات وصدمات نفسيّة مُستعصية ، وإدراج هذه الحالة في مخطّطاته السريّة،وجدت الذات الاستهوائية "سليم" الحل للإيقاع بالمحتال إسكندر ،ألا وهو الانتقام منه عن طريق إغواءه ومعرفة نقطة ضعفه ، نجح فيما صمّم وترك المهمة الصعبة لجميل ، ونجد هذا واردا في قوله : « لكن هل ستقتله بيدك ، أم بيدي شخصٍ آخر ،شخص منهار ومدمر ومريض وقاصر ،شخص لديه عشرات التقارير الطبية تثبت مرضه النفسي ومحاولاته للانتحار...شخص ضاعت روحه في عتمات العصاب والاكتئاب ، جميل يا سليم ، جميل يمكن أن تكون يدك التي ستقتل الطفل...»[2].بالرغم من أنه تفكير مُنحطّ ، لا أخلاقي، لا منطقي، إلا أنّه السبيل الوحيد لكي يصُّب سليم حقده وغضبه على السافل المُدنَّس إسكندر ،هذا الانتقام الذي يُريح سليم من المعاناة ويُخرجه من العتمة إلى النور ، لقد فكَّر مَلِيًا في العدالة والقانون لكنَّهما لن يُنصفاه .

لكن هل التفكير في إيجاد الحل" الانتقام "، هل يُعتَبر حقا حلاً ، ألا يُعتبر ارتكاب جرما شنيعاً أكبر من الجرم الذي ارتكبه إسكندر في حق ضحاياه ؟ فسليم كان يعاتب إسكندر ويلومه وهاهو يرتكب جرما فضيعا ؛" الإقبال على القتل"، ومن هو الشخص الذي سيُقدم على الفعل المريض بمرض نفساني خطير "جميل" ،ومن سيتحمّل عواقب كل هذا، أكيد الكادحة "سعاد"، ألا يُعدُّ هذا

(1)جميل حمداوي : مستجدات النقد الروائي ، ط 1 ، الناظور ، المغرب ، 2011 ، ص 487 .
(2) الرواية ، ص 205 .

ظلما في حقّ الإنسانية، انْتفى الضمير ،وأُعدمت الأخلاق في عصر لا خير فيه، أصبح عصرنا يشبه العصر الجاهلي، فالمادة طغت وعميت القلوب والأبصار .

نجحت خطة "سليم"، وقتل جميل ابن أخت إسكندر، أما الأم الكادحة سعاد امرأة مؤمنة، صامدة ، مُتحديّة للصعوبات، بالرغم من النكبات والصدمات التي تمرُّ بها، إلا أنّنا نجد الذات المتأملة الطامحة لغدٍ مزهر غير مستسلمة ، فهي تردد قائلة :« يتفتح الأمل في روح سعاد كل صباح ، كما تنفتح وردة »[1].نجد بريق الأمل يلوح في الأعماق"ذات سعاد"، بالرغم من الحالة المأساوية التي تعيشها إلا أنّ أخلاقها متعالية ، فالإيمان ساطع وقوي .

ونجد في الملفوظ الآتي نوعا من الأمل والتفاؤل في قلب الأم الكادحة المُضحيّة :« تجد سعاد قوة الأمل كل صباحٍ بأن يُشفى جميل ، ويتعافى ،وتؤمن أن حبّها العظيم له يمكن أن يشفيه ...»[2].

وفي قولها كذلك:« تفكر سعاد أنّ لا شيء يريح النفس ويدخل إليها الطمأنينة مثل شعور المرء أنه مثل الآخرين،وبأنه ليس وحيدا في حزنه...الأمل الإنساني والحزن الإنساني ،هذا ما يجمع النّاس بعضهم إلى بعض »[3].وبتعبير آخر ، تأمل سعاد بحياة مغايرة لحياتها، الضمير الجمعي يهزُّ من كيانها وأخلاقها السامية تجعلها تتمسك بالحياة رغم المعاناة والحالة النفسية التي تعيشها ،فالإيمان بالإله "اليسوع" أعطاها القدرة على التحمل والصبر على المصائب .

شهدت الرواية العربية المعاصرة تطورا ملحوظا إذ أصبحت الحلول مشكوكا فيها، فهي متعددة بتعدد الشخصيات الممسرحة التي تخدم الأحداث، فإسكندر كان حله الوحيد الهروب من الواقع ومحو الصور والأطياف التي تتبعه من مخيّلته، في حين نجد سليم يضع حلا لحالته الميسورة والفخ الذي وقع فيه والده العجوز ألا وهو الانتقام ،وفي المقابل نجد الذات الاستهوائية المنفعلة والمضطربة المريضة بمرض نفساني خطير يرى الحل المناسب هو الموت والابتعاد، لقد فقد الثقة بالنفس وبكل من يدور حوله،

([1]) الرواية ، ص 193 .
([2]) الرواية ، ص 193 .
([3]) الرواية ، ص 194 .

أما فيما يخص الشخصية البطلة المتمثلة في شخص"سعاد" فنجدها شخصية هاوية ،منفعلة أحيانا ، محبّة للحياة،طامحة للمستقبل ،آملة في تغيير الحياة من الأسوء إلى الأحسن، فهي تتمنى حياة ناجحة، يسطع منها شعاع أمل يخرجها من العتمة إلى النور، فثمّة أمل ما دامت تتحرك في مدار الحب الذي يُحوّل كل الآلام إلى فرح ورقة ،فالأمل عند سعاد هو حلّ للرواية .

هـ – وضعية النهاية :

لكلّ رواية وضعية بداية ووضعية نهاية ، وفي هذه الرواية التي بين أيدينا نهاية جد مؤسفة ،ولكن وقبل الولوج في أعماقها وخبايا الذوات الاستهوائية ،سنقوم أولا بالتعريف بوضعية النهاية، إذ يقول "جيرالد برنس"في هذا الصدد :« الحدث الأخير في "الحبكة" أو "الفعل" إن "النهاية" تتبع أحداثا سابقة عليها ، ولا تكون متبوعة بغيرها من الأحداث ،وتؤشر لحالة من الاستقرار (النسبي)، ويشير دارسو السرديات بأن "النهاية" تحتل موقعا نهائيا وحاسما بسبب الضوء الذي تسلطه(أو الذي يمكن أن تسلطه) على معاني الأحداث التي تؤدي إليها. إنّ "النهاية"تقوم بوظيفة القوة الممغنطة، والمبدأ المنظم للسرد ، إن قراءة أي سرد (تناوله)هو من بين الأشياء الأخرى، انتظار للنهاية ،وتكون وظيفة الانتظار وثيقة الصلة بطبيعة السرد »[1].

النهاية عبارة عن تسلسل للأحداث ، فلها دور فعال وبارز، إذ لا وجود لأي عمل فني له بداية دون نهاية فهو حدث أخير له مغزى معين ، وعبرة لمن يعتبر ،وفي هذا الصدد نجد الروائية "هيفاء بيطار" تسرد على لسان الشخصيات رواية حقيقية تعبر عن الواقع المأساوي الذي آل إليه المجتمع العربي ،هادفة إلى إيصال مغزى وفكرة معينة يقتدي بها كل من له عقل متّزن وانفعالات هادئة أي؛ تكون الحالة النفسية متّزنة لا مضطربة .

([1]) جيرالد برنس : قاموس السرديات ، ص 58 .

انْتهت الرواية بجُرم فضيع لا تكاد تتخيله وتستوعبه العقول الواعية ، انتهت بالانتقام من المحتال إسكندر الذي قام بالنهب والسرقة ؛سرقة ضحايا مساكين، كانت النهاية تعيسة، انْتفى الضمير، وأُعدمت الأخلاق،وأصبح القتل والتفكير في سفك دماء الأبرياء يحلُّ محلّ السلام والتعايش السلمي.

لقد كان تفكير كل من سليم وجميل واحد فكلاهما يفكر في عملية الانتقام من الفاعل ، ونجد هذا ماثلا في قول رياض الذي يتوعد بالقتل«... لكنه أقسم أن هدفه في الحياة بعد أن تمّ إنقاذه هو قتل إسكندر ،وبأنه مستعد أن يقضي ما تبقّى من عمره في السجن »[1].فرياض الصديق الروحي لإسكندر توأمه يستفيق من حلم اليقظة ،ويجد أعزّ الناس يقوم بخداعه ،وسبيله الأمثل لحلّ مصيبته هو التوعُّد بالانتقام والقتل العمد له. وفي هذا الصدد نجد الانفعالات العنيفة والكلام القاسي يخرج من فم سليم إلى درجة خروج الرذاذ، فعاطفة الحقد الغضب جعلت سليم يعيش حالة نفسية مستعصية ؛فلقد أصبح يعيش توترا عصبيا عنيفا«هل يتأمل أن يشفى من ذلك الهوى الأكّال بالانتقام من إسكندر ، وتلك الخيالات الوحشية بأنه يخنقه ويطعنه بسكين أو يذبحه فاصلا رأسه عن جسده ؟»[2] تفاقم الوضع ، وأصبح سليم يفكر تفكيرا سلبيا لا منطقي ،وكأنه قد اُختلَّ عقليًا فالجانب اللّاشعوري هو الذي يحتكم مسار حياته ويسيرها وفق لما يهوى ويحب ، وفي موضع آخر نجد الذات المستهوية "سليم" يتوعّد ويهدد بالانتقام من الفاعل ومن كل شخص يحاول أن يسبب له الألم والمعاناة ،إذ نجده يلجأ إلى الانتقام المعنوي فإحساسه بالألم والقهر على موت حبيبته جعله يسلك طريقا ومنهجا مخالفا للانتقام ، فكان سبيله الأمثل هو الكتابة في الصحف والجرائد لكشف أصحاب السلطة بكل أشكالها السياسية أو المالية « أليست كل مقالاتك شكلا من أشكال الانتقام لصبية ماتت من نقص الإمكانيات والفقر وأنت كنت متفرجا »[3]، تذوق سليم الأمرّين : الأولى خسارة والده للثروة "المادية "، والثانية خسارته لحبيبة قلبه "جنان" التي اعتبرها مخلّصته من معاناته والكارثة التي وقع فيها.في حين نجد شخص وديعة لا تتوعّد بالانتقام ،ولكن موتها يعتبر انتقاما منه

([1]) الرواية ، ص 85 .
([2]) الرواية ، ص 109 .
([3]) الرواية ، ص 123 .

«لكن ما لن تعرفه وديعة أن موتها سيكون بمثابة الشرارة التي اندلعت لبداية طريق الانتقام من إسكندر »سلّمت "وديعة" أمرها للإله الذي سيتدبّر أمرها حتما ، حتى وإن طال الأمد ، فأخلاقها السامية ستتغلّب على الصعاب وعلى الأفكار الموحشة ،في حين نجد الشخصية البطلة "جميل " شخصية فاعلة تمرُّ بحالة نفسية مضطربة ،حاملة لشحنة عاطفية سلبية مؤثّرة ، أدت به إلى خروجه عن النطاق ووعيه حيث بدأ يتفوه بكلام خطير ، ففكرة الانتقام منعته من الإقدام على الانتحار «ووحدها فكرة الانتقام منعته من ارتكاب حماقة والإقدام على الانتحار»[1]؛ الحل الأمثل لكي يتناسى جميل ارتكاب جريمة في حق الإنسانية هو: التفكير في الانتقام الذي يعدّ أيضا جرما في حق الإنسانية « وحين يدخل بطور الهياج ، فإنه يهدّد ويتوعّد أنه سيقتل إسكندر »[2]فإصابة جميل في ذاته الداخلية تجعل منه شخصية ذات قطبين متناقضين: قطب موجب وقطب سالب، والسالب يتغلب على الموجب ،فالدخول في حالة هيجان تجعل من الذات الاستهوائية صاحبة الوتيرة النفسية المضطربة تتوعد بالقتل والجرم المشهود ،وتمرُّ الروائية وترجع ثانية للتحدث عن الشخصية "سليم" الفاعلة والمحركة لسيرورة الأحداث الذي حنك خطة جهنميّة للإمساك باليد التي تألم إسكندر وحقا تم القبض والتعرف على الشيء الذي يعوق سير إسكندر وشيلُهُ ،إنه ابن أخته الصغير «لم يعد من شيء في هذه الحياة يغويك أكثر من الانتقام من إسكندر ، من تجريعه كأس المرارة والغدر التي جرّعها للكثيرين...»[3] فمعرفة سليم لنقطة ضعف إسكندر جعلته يتحكم في زمام الأمور .

تطورت الرواية تطورا مذهلا،فالأحداث مشوقة ومثيرة، لها بداية واضطراب"العقدة"، الصراع، والحل، ووضعية نهاية، فالبداية تعتبر افتتاحية للرواية،أما فيما يخصّ الاضطراب فهو العقدة حيث تتشابك الشخصيات والأحداث فيما بينها، في حين نجد الميزة الرئيسية في الرواية ألا وهي الصراع بين هوى الكراهية، وهوى الحب، مما يؤدي بالضرورة إلى حل يعتبر حلا للعقدة، وفي هذه الرواية نجد الحل مشكوكا فيه، حل لا منطقي، فكل شخصية تسعى لتحقيق مبتغاها،إلا الذات الكادحة

([1]) الرواية ، ص 142 .
([2]) الرواية ، ص 186 .
([3]) الرواية ، ص 209 .

"سعاد" المضحية فهي آملة، راجية تحقيق مسعاها، غير أنها تقع ضحية نهاية مأساوية جديدة تريد إيصال مغزى عام يتمثل في: انتفاء الضمير والانحلال الخلقي للمجتمعات المعاصرة.

2- البرامج الاستهوائية :

تتضمّن الرواية عاطفتين متناقضتين (عاطفة الحب وعاطفة الكراهية) وفي حياة الشخص عاطفة غالبة تهيمن على سلوكه كما نجد عند بعض الهواة « وتتكون العاطفة من تجمع عدّة انفعالات وانتظامها المُكتسَب يرتبط بموضوع خاص ،ويدفع الإنسان إلى القيام بأنواع من السلوك ترتبط بهذا الموضوع »[1]فكل عاطفة تتحدد من خلال انفعالات الشخص المعني بها ،وكل عاطفة تنجم عنها انفعالات منها سلوكات وتصرفات خاصة بها .

ويقوم البرنامج الاستهوائي في الرواية على مجموعة من المحطات التي سنتوقف عندها لنخوض فيها ونتعرّف عليها من خلال هذه الدراسة ولتحديد تحركات الذات والكشف عن برامجهافي الواقع .

و يقوم البرنامج الإستهوائي على عناصر :التحفيز ،الإكراه ،الإقناع ،الإنجاز.

- **التحفيز** : وهو

« 1- شبكة الأدوات أو الحيل الفنية التي تبرر تقديم " الحافز " Notif ؛ مجموعة من الحوافز ، أو على نحو أكثر عمومية،المبرر الذي بموجبه يستخدم أحد العناصر النصّية؛"التأليف" Composition، لقد ميّز توماتشفسكي بين التحفيز التأليفي Compositional notivation(الذي يشير إلى جدوى الحافز)،والتحفيز الواقعي Realistic notivation (الذي يؤكّد على تشابه الحافز مع الحياة وواقعيته، وصدقه)،والتحفيز الجمالي (الفني) Artistic notivation (الذي يبرر تقديم الحافز وفقا لمتطلبات" الفن "). 2- مركب الظروف والأسباب والأغراض والدوافع التي تحكم أفعال الشخصيات(وتجعلها مقبولة أو

([1]) كامل محمد محمد عويضة : علم نفس الشخصية ، مر : محمد رجب البيومي ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1996 ، ص 139 .

معقولة»[1]،وعليه فالتحفيز عبارة عن حيل ، أدوات ،وسائل يعتمدها المحفّز لغرض إقناع الشخص الهدف للقيام بفعل معين ،وهو مجموعة من الدوافع التي تدفع الشخصيات للقيام بالأفعال. فيستخدم العنصر المحفّز أساليب مختلفة ،وقد يكون العنصر المحفّز شخصا أو حادثة أو مرضا ...، وتختلف المحفزات باختلاف الحبكة المسيّرة للعمل السردي ، تقود الفاعل للقيام بالفعل مسايرا أو مكرها، فيدخل عنصر الإكراه أي الإجبار ؛أو المسببات التي أدّت إلى وقوع الحادثة قصرا وحتما ، لتتنامى الوسائل والأساليب والحيل وهذا ما يؤدي إلى خُنوع الفاعل واقْتناعه لصناعة الحدث ،وهذا ما يسمّى إنجازًا وهو:« في مصطلح جريماس،هو" البرنامج السردي" Narrative program " لـ"الذات" subject التي تحصل على " الكفاءة " Competence ، ويكمن " الانجاز" في تحويل إحدى الحالات ، ولاسيما اتّصال " الذات " " بالموضوع " »[2]. فالانجاز يتعلّق أساسا بالذات ومدى تدخلها في تغيير الحالات لتصنع الموضوع ونحن من خلال دراستنا بصدد التعرُّض للعواطف والأهواء السائدة في الرواية ، و المحفّزات التي تؤدي إلى تغيرّها ،وظهور عواطف جديدة على الذوات ، تتنامى وتتطور لتصل إلى ذروتها وتسيطر على دواخل الذات فتقوم بالحدث.

نميّز في الرواية بين برنامجين استهوائيين: برنامج هوى الحب،و برنامج هوى الكراهية.

أ- برنامج هوى الكراهية:

عاطفة الكراهية، جسّدتها شخصية "سليم"، هذا الأخير يخضع في هذا البرنامج السردي لعملية التحفيز والتطويع الإستهوائي، سيطرت عاطفة الكراهية على نفسية سليم بعد أن كان إنسانا يعيش حياة ترف متّزن العواطف ،غير مبالٍ بمستقبله لأنه ألِف التواكل والعيش السعيد دون تعب أو جهد يُبذل، ليحدث انْقلاب في حياة هذه الذات ليتسلّل الكره والحقد إلى قلبه عند إحساسه بالانهيار والخسارة نتيجة إفلاس والده العجوز وزوال الأموال والثروة التي طالما حلم بها، ليتغلّب جانب الشر على جانب الخير في نفسه لتسيطر الشرور والأحقاد « والإنسان – بطبيعته المزدوجة – قابل قبولا

---

(1) جيرالد برنس : قاموس السرديات ، ص 117 .
(2) م . ن ، ص 144 .

طبيعيا أن يتّخذ هذا الوضع أو ذاك : وضع سيطرة الجسم على الكيان الممتزج ، أو سيطرة الروح . أي أنه مشتمل– بصورة طبيعية –على استعداد للخير واستعداد للشر»[1] قال الله تعالى: ﴿ وهديناه النجدين ﴾[2] ليقف "سليم" عاجزا من هول هذه الصدمة والكارثة التي واجهته.« أحسّ كما لو أنّ نزيفا صاعقا تفجّر في دماغه ،وأحسّ بقوة هائلة تجرفه ،وانبثقت صورة شلال هادر يجرف كل شيء في طريقه عن مخيلته النازفة »[3]حيث أن سليم صُدم فور سماعه بخبر إفلاس والده العجوز ووقوعه ضحيّة للسرقة والنهب والاحتيال، ليجد الحقد طريقه إلى قلبه، حقد على الزمن، وحقد على النصّاب إسكندر، وحقد على والده المخدوع، فتحولت حياته إلى دمار، تحطمت كل آماله، واستنزفت كل أحلامه، فكانت ردود أفعاله العصبية والعاطفيةوانفعالاته الغاضبة تُغيِّب إحساسه بجسده حتَّى ليصّب غضبه على والده العجوز الذي اعتبره سبب الخسارة العظيمة، خسارة المال في زمن المال والمادة.

إنّ إحساس "سليم"بالانهيار والخسارة تحول إلى انفعال يظهر على شكل صراخ هستيري وضرب على الصدر وقسوة وألم وما بِيد العجوز حيلةً إلا السكوت والذهول والانهزام «كان صوت سليم يشبه الجعير يعلو ويعلو، وبدا الابن المجنون من الكارثة كما لو أنه يرغب باختبار قدرة والده على التّحمل ولم يخالجه أي شعور بالرحمة على العجوز المتهالك، ولم يخطر له ولو لبرهة أنّه هو والمصيبة يتكالبان عليه »[4] حقد سليم على والده أعمى بصيرته وأفقده إحساسه، كان يشعر بغضب شديد وحزن وألم وخوف على المستقبل حيث أنّ ؛« الإنسان الحزين يرى الحياة قاتمة وإن كل ما فيها يسبب الضيق والألم ، ويشعره باليأس والملل »[5] كل هاته الأحاسيس ظهرت على شكل انفعالات هستيرية وحالات عصبية متوهّجة لدى سليم ، قلق سيطر عليه في عصر طغت المادة على الجانب الروحي، وبالتالي فالانهيار والخسارة التي تعرّض لها سليم حفّزته ليكون مؤهّلا للقيام بعمليات

---

(1) محمد قطب : دراسات في النفس الإنسانية ، ط10 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1993 ، ص 338 .

(2) سورة البلد (الآية 10) .

(3) الرواية ، ص07 .

(4) الرواية ، ص 11 .

(5) كامل محمد محمد عويضة : علم نفس الشخصية ، ص 148 .

استهوائية عنيفة تتّسم بالترويع والترهيب،كما نجد أن الزمن محفّز مادي حفّز الذات الاستهوائية "سليم" بشكل تدريجي لتسكنه أفكار جهنّمية وتسيطر على قلبه مشاعر شريرة وأحقادا وبغضا وسوادا طاغيا، كتفكيره في وفاة والده وانتقال أمواله إليه ، فالمال في زمننا يعتبر محفزا لكل ظاهرة سيّئة أو جريمة تُقترف حيث أن سليم كان يرى في أموال والده مستقبله الزاهر وضياعها يعني ضياع حياته و آماله ومستقبله وكل أحلامه، وهذا ما جعله يطرد كل إحساس بالرّحمة أو الحب من قلبه ليجعل مكانها قسوة وغضب وألم وكره« لا يصدق سليم نفسه حين تنتابه مشاعر الكره لوالده، فما الكره الذي يحسّه تجاهه سوى حبّا بالمقلوب...وهو يعرف في لحظات هدوئه وتأمله العميق لنفسه أنّ قسوته الوحشية مع والده ليست سوى تعبير عن ألمه من زمن ابن كلب »[1]وهذه هي الحقيقة ، فالألم الذي يحسّه سليم تمثّل في انفعالات في ظاهرها تبدو كراهية ولكنّها في الحقيقة ليست سوى عواقب طبيعية لأحاسيس داخلية ، كما أنّ تعرض سليم لأزمة الإفلاس هي السبب الأول لكل هذه الردود النفسية من تنامي لعاطفة الكره والحقد وانفعالات عاطفية وجسدية ، الكره الذي كان منصبّا على هذا الزمن وعلى النصّابين واللصوص خاصة، فإفلاس والده تسبّب فيه شخص من فئة اللصوص والنصابين " النصّاب إسكندر" كما يراه ضحاياه ، طغى الشّر على قلبه ليخون الشخص الذي وثق به وائتمنه على أمواله « فالأب العجوز كان سعيدا أنه يتاجر ويجني أرباحا فاحشة ،ويوظف ثروته جيّدا مع إسكندر، الشاب الذي وثق به ثقة مطلقة وأتمنه على أمواله...»[2]

وبالتالي فقد لعب "إسكندر" دور الشرير في الرواية ،الشرير أي :« 1- الخصم " Autagonis" الشرير ؛ عدو البطل القادر على إلحاق الإساءة أو اقتراف الأعمال الشريرة . 2- احد " الأدوار " Roles " الرئيسية السبعة التي يمكن أن تضطلع بها الشخصية (في الحكاية العجيبة) عند بروب، إن " الشرير " Villain (وهو يعادل " المعارض " Opponent عند

([1]) الرواية ، ص 16 .
([2]) الرواية ، ص 16 .

جريماس ، والمريخ Mars عند سوريو) ، يعارض " البطل " Hero ، وعلى نحو أكثر تحديدأ ، يتسبب في تعاسته (انقلاب حظه) أو تعاسة شخصية أخرى »[1].

فإسكندر بفعلته السافلة أحدث انقلابا واضطرابا على مسار حياة ضحاياه ،فكان المحفّز الأول لطغيان الحقد على قلب سليم وتحويله إلى كائن عديم الإحساس والمشاعر « كان جنون الألم والغضب قد ذهب بعقله ، وصارت خطواته مضطربة ، يمشي متمايلا ، ويداه ترتعدان في جيبه، وعكست ملامحه حالة إنسان مسموم...، ولمع لهب شديد السواد في عينيه ، كان يتآكل من الألم والغضب والرغبة بالانتقام ، وانْفلتت شتائم فاحشة مُروِّعة من فمه ، شتائم تعبّر عن شاب محطّم بالحقد واليأس...»[2].أصبح هاجس الانتقام يدور في عقل سليم وسكنته الرذائل والأفكار السوداوية. والرذائل هي : « الأفعال الناتجة عن انحراف القوى النفسانية ، عن الكمال والسلامة لسيطرة إحدى قوى النفس، فإذا انحرفت القوة الغضبية عن فضيلتها أدّى ذلك إلى التهوّر والجبن ، وإذا انحرفت القوة الشهويّة عن فضيلتها العفّة ، أدّى ذلك إلى الشره ، أو الامتناع عن الحق المملوك ، وهكذا تنجم الرذائل عن انحرافات النفس ، وأصولها أربعة وهي : الشح ، والجبن ، والجور والجهل »[3]وهذا ما حصل مع سليم ، فخداع إسكندر لوالده وسطوته على أمواله وكل ممتلكاته معتمدا الزيف والتحايل والخدع والمكر ولّد في نفسيّة الضحية اليأس والتشاؤم والتهوّر والشاعر " محمد عفيفي مطر " يرى أنّ الزيف والخداع انتشر في المشهد الاجتماعي العربي، وروح التشاؤم واليأس تظهر من خلال قصيدته : " كلمات حبلى ":

نحن في الأرض شموس مطفآت

نطفةٌ لم تتمشّ الروح فيها وعلى

مائدة الموت فُتات

([1]) جيرالد برنس : قاموس السرديات ، ص 209 .

([2]) الرواية ، ص 142 .

([3]) حامد أحمد الدبّاس : فلسفة الحب والأخلاق عند ابن حزم الأندلسي ، ط1 ، دار الإبداع للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1993 ، ص 140.

مذ مشى الخوف على هاماتنا ، ينفث فيها

يسرق الخضرة من أعماقنا يتركنا أرضا موات[1]

وعندما ينقلب المجتمع ، وتتحول الأخلاق والفضائل ليصبح مفهوما ضيقا يتميّز بالحقد والعداء، ويبعث على النزاع والشحناء وينتهي إلى الفتن وسفك الدماء ، يومئذ يكون المجتمع الفاضل قد تحول إلى طائفية ذميمة تنذر بشرّ العواقب وأوخم النتائج .

إضافة إلى الذات الاستهوائية "سليم" نجد شخصية أخرى وقع عليها فعل التحفيز لتتغيّر مشاعرها وعواطفها ،جميل هذا المراهق الذي فقد والده وهو في سن التاسعة ،تولّت والدته أمور رعايته وتوفير له ولإخوته جميع ضروريات الحياة ، كان يعاني مرضا نفسيا ،هذا ما جعله يعاني من اضطرابات داخلية نفسية «تتضمّن الشخصية السيكوبائية مجموعة من السلوكيات غير السوية التي يصعب تصنيفها في الاضطرابات العصبية أو الذهنية ، يسميه البعض بمرض الضمير على اعتبار أنّهم يتصفون بموت الضمير ، ويُصنَّف ضمن الاضطرابات التي تتعلق أكثر بالمجتمع لانعدام المسؤولية الاجتماعية لديهم كما أنّهم أنانيون، ويفتقد الأفراد المصابون بهذا الاضطراب الإحساس بما هو صواب وبما هو خطأ لعدم امتلاكهم مقاييس خلقية ، فهم يتحايلون للحصول على لذّاتهم دون اعتبار للمشاعر الصحيحة »[2]. فسعاد والدة جميل المريض تعرّضت للسرقة كذلك من طرف إسكندر النصّاب و هذا ما زاد على مرضه حدّة ، ليتحول إلى إنسان شاذّ غير مسؤول عن تصرّفاته ، ليلتقي في حياته مع سليم ويصبح الألم واحد و الهدف واحد ، في هذه اللحظة يدخل الشيطان عقل سليم ليسمّم عقل المراهق ويحفّزه على الانتقام من إسكندر « هل فقد سليم صوابه حتى صار يتقبل فكرة الجريمة؟! هل يستفزّه ضُعف جميل ومرضه ليُخرج نِيّاته المدفونة في

([1]) محمد عفيفي مطر : الأعمال الشعرية الكاملة ، مج 1 ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1998 م ، ص 66 ، ص 67 .

([2]) نبيل سفيان : المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي (المفهوم – النظرية – النمو – التوافق – الاضطرابات – الإرشاد والعلاج) ، ص 188 .

لاوعيه...»[1] فكان هدف سليم الوحيد هو إغواء جميل وتحفيزه على الانتقام والجريمة ،توحّد جميل وسليم بشهوة الجريمة، لكن سليم ظلّ واعيا لانْحطاط أخلاقه مدركا أن رغبته بتنفيس أحقاده هي المسيطرة وبأنه لم يعد في حياته من إغواء أكبر من إغواء الانتقام ، ولديه الأداة التي ستُنفّذ حلمه .

وتخضع الذات البطلة "جميل" في هذا البرنامج السردي لعملية التحفيز والتطويع الإستهوائي، من قبل سليم بغية تأهيلها مستقبلا لعمليات إستهوائية عنيفة تتّسم بالحقد والتطرف والترهيب ، حيث أن سليم يستغّل ضعف جميل ومرضه النفسي وشحنه قصد الزجّ به في عملية القتل وليكون يده التي تقتل« ألم تعرف يا سليم أن حلمك سيصير هاجس جميلا ؟! و أنّ كل كلمة قلتها هي كالسمّ الذي اخترق كل خلية من خلايا دماغه وسيطر عليها... تركته وهو ملتهب حماسة ورغبة ليقتل ابن أخت إسكندر... سمحت لنفسك أن تملأ الخواء الذي يغمر كيانه بنار الانتقام التي لا تخمد،حقنته بسم أفكارك ومضيت...»[2] ويلاحظ أنّ المحفز أو المرسل يحاول تحفيز الذات أو الفاعل الإجرائي بشكل تدريجي ، عن طريق الإغراء والإقناع الذهني والوجداني ، بغية التأثير عقليا ونفسيا وحركيا .

"سليم" لم يكن ليكون بكل هذه الوحشية والقسوة لو لم يُجبره"إسكندر"ويُكرهه على كل هذه المشاعر الحاقدة والأفكار السوداوية وبالتالي فإسكندر بفعلته اللصوصية كان المُحفّز الذي حفّز سليم لتنقلب عواطفه من حسنة إلى سيّئة ، ليستلم هذا الأخير مُهمّة التحفيز التي مارسها مع جميل الضعيف والمريض نفسيا ، ليصل في نهاية المطاف إلى مبتغاه ألا وهو إقناع جميل بالانتقام من إسكندر «لم يحتج جميل سوى لشهر كي يُشحن ، فبعد شهر من سماعه حلم سليم ، استيقظت المدينة على جريمة مروعة ، فالمجنون جميل ابن سعاد أطلق النار على طفل ينتظر باص المدرسة برفقة خادمة »[3]. ليتم فعل الإنجاز الذي قام به جميل بعد اقتناعه بضرورة الانتقام من إسكندر النصّاب، ليقتل ابن أخت هذا الأخير النصاب ، بعد تيقُّنه

([1]) الرواية ، ص 208 .
([2]) الرواية ، ص 214 .
([3]) الرواية ، ص 217 .

من حبّ إسكندر الكبير لابن اخته ،فأراد من خلال قتل الصغير قتل روح إسكندر، لأن قتل الروح أصعب وأشدّ من قتل الجسد .

وهذا ما حصل بالفعل حيث أنّ موت الصغير تسبّب في انْهيار إسكندر كما أن انْحراف سليم والأفكار الجهنّمية التي سيطرت عليه جعلته يفكر في الجريمة ليصل إلى مبتغاه في نهاية المطاف"الانتقام من إسكندر" .

ب – برنامج هوى الحب :

يتخلّل البرنامج الاستهوائي ذاتين هاويتين ، ذات تكره وتحقد على الأفراد بسبب طغيان الفساد والانحلال الخلقي وتطور مذهل في الظروف المادية ،وذات محبة للخير تهوى العيش في سلام واطمئنان، راجية من المولى تحقيق العدالة والمساواة بين الجميع .

وفي رواية " أحلام نازفة " لهيفاء بيطار نلحظ تواجد كبير لهاتين الذاتين ، إذْ تطغى الذات الكارهة الشّريرة على الذات الاستهوائية المُحبّة للخير والسعادة، وفي هذا الصدد نجد امرأة كادحة فقيرة حاملة في فحواها الطيبة والخير للجميع، متمثلة في شخصيّة "سعاد"، سعاد أم لطيفة محبّة لأولادها، هدفها إعالتهم وتوفير الحاجيات المادية، متناسية ولامبالية بالمصائب التي تعترضها،وينتهي الخير بالإنسان إلى ما يسميه ابن حزم بـ « طرد الهم » وهو الصيغة السلبية للسعادة الإنسانية، وتتصف هذه السعادة بأن قيمتها كامنة فيها ، وأن جميع الناس يسعون إليها « تطلبت غرضًا استوى الناس كلهم في اسْتحسانه، وفي طلبه، فلم أجده إلا واحدا وهو طرد الهم، فلمّا تدبرته علمت أنَّ النَّاس كلهم لم يستووا في اسْتحسانه فقط، ولا في طلبه فقط، ولكن رأيتهم على اختلاف أهوائهم ومطالبهم، وتباين هممهم وإراداتهم، لا يتحركون حركة أصلا إلاَّ فيما يرجون به طرده، ولا ينطقون بكلمة أصلا إلا فيما يُعانون به إزاحته عن أنفسهم »[1]فسبيل المرء لتحقيق السعادة هو التفكير جليا في طرد الأوهام والهموم من نفسيته، فالسعادة هي التعبير المطلق عن الراحة الإنسانية وعن الذات الداخلية للإنسان ،والمصدر الرئيسي في بعث السعادة هو الحب والصفاء

([1]) حامد أحمد الدبَّاس : فلسفة الحب والأخلاق عند ابن حزم الأندلسي ، ص 126 .

والمودة والحنان والعطف...إلخ ، وهذا ما نجده جليا في الرواية : فسليم يبحث عن عطف وحب والدته التي تركته فحدس الأطفال لا يخطئ ، أما فيما يخص هوى الحب فنجده متجذرا في القلب العطوف ، المملوء بالحب والوفاء والحنان، قلب "سعاد"« للوهلة الأولى تمنت أن تقول له وأنا منهارة من التعب، ولم أعد قادرة على التحمل، لكن المقاتلة الشرسة استنهضت قوة سحرية من أعماقها، وشعّت عيناها بالحبِّ، ومسحت بيدها الحنون على رأس المريض وطمأنته أنّ كل شيء سيسير على مايرام»[1] بالرغم من شدة المرارة والفاجعة التي ألمت بشخص"سعاد" إلا أننا نجدها امرأة عاقلة متماسكة كادحة، وعاملة تبتغي من وراء تعبها وشقائها توفير المستلزمات المادية والمعنوية لأبنائها حاملة لشحنات ايجابية مفعمة بهوى الحب والقوة. ونجد حبها يتدفق ويري في عروق ابنها البكر « يبدو أنها نجحت في إدخال شيء من الطمأنينة إلى قلبه، لأنه أغمض عينيه وصار تنفسه أكثر عمقا وبطئا ،يبدو أنه انخطف إلى عالم النوم الرحيم ... »[2] عاطفة الأمومة تسمو وترنو فوق كل العواطف ، فهي حالة لا شعورية تمتلكها القلوب الرقيقة الرحيمة ، الرؤوفة ، إنه قلب الأم ، فالطفل يكون في حالة خوف وذعر وقلق ، ولكن عندما يسند رأسه على صدر أمه يحس بالأمان والراحة غلى درجة الإغفاء والإغماء أو حتى النوم العميق.

فعنصر التحفيز الذي يُبنى عليه هوى الحب هنا نشأ هكذا ، دون وجود أيّة أسباب ، العطف والحنان هما صفتان معنويتان فطريتان يُجبل المرء عليهما غير مكتسبة يعمد المرء إلى تعلُّمها ، إنّما هي غريزة وفطرة، فعاطفة الحب تُمثّل بعدا استهوائيا ومرسلا محركا قويا يدفع ذات "سعاد" إلى التأمل والبحث عن شيء معنوي يسمى السعادة ، الفرح ، المرح ، البحث عن أمل مشرق ساطع يرنو إلى الأفق والدليل « والسعادة عن سقراط لا تنجم عن شيء مادي . ولكنها اطْمئنان النفس والسرور الداخلي الذي يكون بالاعتدال، والتحرر من أُسر الخيرات الخارجية كالغِنى والجاه ونحو هذا ممّا يعدّه الناس من العادة سعادة »[3] لا تفقه سعاد شيئا لكنها تحمل في داخلها وفي طياتها نوع من الحب الخاص « لا تملك العلم ولا الصنعة ولا المال...لا تملك سوى قلب كبير متشبّع بالحب لأطفالها، وبقوة قلبها اقتحمت العالم غير مبالية بكل

([1]) الرواية ، ص 23 .

([2]) الرواية ، ص 24 .

([3]) محمود حمدي زقزوق : مقدمة في علم الأخلاق ، ط3 ، دار القلم ، الكويت ، 1983 ، ص 86 .

الصعاب،هل تخيّلْتِ يوما أيّة قوّة يمتلكها قلب مشبع بالحب؟!»[1] قلبها ممتلئ بالحب، قويٌّ بالإيمان والأخلاق، حامل للآمال، ممتلك للصبر، تُواجه الصعاب من خلال دعائها .

أما فيما يخص عنصر الإقناع ، فنجد عاطفة الأمومة لا تحتاج إلى شيء مادي ملموس ، ومحسوسا لكي يدخل ويقوم بتحليل هذه العاطفة ، لأنّها عاطفة تخلق في الكيان تلقائيا ، غريزة تنمو باستمرار ، لا يوجد حدٌّ لحدها وايقافها ، لا تقاس بوزن ، فهي نابعة من الأعماق " الذات النفسية الاستهوائية " ، ذات هاوية محبّة لأبنائها وكل ما يدور حولها « كان على سعاد أن تبالغ في تقدير تضحياتها كي تستمر في رحلة الشقاء الطويلة اليومية وآمنت أنّ أعظم قيمة في الحياة هي التضحية، بل غذّت تلك الفكرة وبالغت في تقدير ذاتها والإعجاب بقدرتها على الاستمرار وجني المال ،ولم تفقد يوما إيمانها أنّ الله يدعمها وبأنه لا يمكن أن يتخلى عنها »[2]مهما كانت الآلام التي تعانيها « ولكن إذا كانت السعادة تجيء في إثر الفضيلة التي هي المعرفة بما هو خير فكيف نعرف أنّ هذا العمل خير وذاك شر ؟ يُجيب سقراط عن هذا بأنّ للخير أصلا ثابتا لدينا، فنحن نعرف الخير بالضمير الذي هو الصوت الداخلي الذي يَهيب بنا أن نعمل هذا ونترك ذاك »[3] فالسبب الرئيسي لتحقيق السعادة هو إعمال الضمير الذي يعتبر صوت ينبع من الداخل فيكون خاصية وميزة هي (النهي والأمر) ، وهو الصوت الخفيّ الصادر والذي يباغت قلب الأم ، هو صوت الضمير، صوت الأخلاق ،فالإقناع هنا هو إقناع وجداني عاطفي ، يتدخّل فيه عامل اللاّشعور، فالشخصية الروائية تمتلك قوة خارقة تُمكّنها من تحمل الصعوبات « المسكينة كانت تسامح وتنسى حين تراه وقد تعافى فجأة فيستحمّ ، ويتأنّق ، ويعود إلى المدرسة وإلى الاختلاط مع أصدقائه، ويلتهم الكتب ، ويسهر حتى الفجر ليعوّض ما فاته من الدروس ، تنسى الأيام السوداء والجحيم الذي عاشوه معه »[4].

([1]) الرواية ، ص 33.

([2]) الرواية ، ص 35 .

([3]) محمد حمدي زقزوق : مقدمة في علم الأخلاق ، ص 88 ، ص89 .

([4]) الرواية ، ص 40 .

ويحمل قاموس الأخلاق في طياته مجموعة من الصفات الحميدة من بينها : التسامح ، التعايش السلمي، السلام و الأمان ، هذا ما نجده في قلب الفقيرة ماديا ، الغنية معنويا ، قلب الحنونة ، الشغوفة ، صاحبة القلب العطوف على أبنائها ، إنّها سعاد التي تحمل في داخلها حبا عظيما لابنها البكر "جميل" المريض بمرض نفساني خطير ، الذي يعيش حالة فصام مع ذاته. « وقد كان سقراط مؤسس هذا العلم ، على رأس القائلين بقبول أخلاق الإنسان للتغيير وذهب إلى أن تغييرها هو العلم ، فالعلم عنده هو الفضيلة والجهل هو الرذيلة »[1] فالأخلاق العالية تغيّر مجرى الحياة من الأسوء إلى الأحسن، خاصة أصحاب العقول المتّزنة التي تخطئ وتحب تجاوز الخطأ، وتعويض ما فاتها « تقدّم العجوز من سيارة إسكندر، بخطى حذرة ، ووجهه يطفح بالمودة والابتسام ، كان يشعر أنّ الله أكرمه في أواخر عمره بابن محب ورائع مثل إسكندر ،ابن يهديه وقته، يصحبه في نزهات يدلّله، يفاجئه بهدايا تعبّر عن عمق محبته واحترامه له »[2] نجد الذات المحبّة الحاملة للاحترام والتقدير ،الأستاذ نجيب يكنّ كل الحب للمحتال إسكندر، حب عفوي ، تلقائي ،نابع من صدره ، غير مصطنع ، عكس الإرهابي إسكندر الذي أقنعه "نجيب"بحُبّ مزيف كان ساعيا وهادفا من وراءه إلى سرقة الثروة .

وفي حديثنا عن الحب نجد "إسكندر"بالرغم من الصفات اللاّأخلاقية التي يحملها، إلا أننا نجده محبّا لابن أخته الصغير« عذابه الأكبر كان فراقه لابن أخته، الطفل المخلص الذي وحده يمكن أن يُشفي إسكندر من شياطين روحه...»[3] فالبراءة التي تلعبها الطفولة تجعل المرء يمتلئ حبا وعطفا، حنانا ورقة بالرغم من قسوة الظروف المادية والاجتماعية و« الحب أعمى ، لأن المحب لا ينظر إلى من أحب نظرة فاحصة مدققة مبعثها العقل والتفكير ،فعاطفة الحب تطغى عقله فيخضع العقل لحكم العاطفة، وهنا يُضِّل الإنسان عن الحقيقة لأن العاطفة قد عطّلت الحكم الصحيح ، فهي لا تاخذ من الحقائق إلا ما يوافق هواها، هذا ما يعبر عنه بمنطق العاطفة ، فالإنسان بعواطفه يبّرر كل تصرفاته وسلوكه»[4].

([1]) محمود حمدي زقزوق : مقدمة في علم الأخلاق ، ص 20 .
([2]) الرواية ، ص 54 .
([3]) الرواية ، ص 59 .
([4]) كامل محمد محمد عويضة : علم نفس الشخصية ، ص 140- ص141 .

وفي موضع آخر نجد "سليم" يتهرب من الأسئلة التي تدور في ذهنه « لا يستطيع سليم الفرار من السؤال المستفز الأبدي ، تفضّل أظهر حبك لوالدك هل مازلت تحبّه حقا بعد تفريطه بميراثك ؟!»[1] فمشاعر الحب المتناقضة التي تحوم على قلب سليم جعلته يتنصّل ويتهرب من تحمله لمسؤولية مشاعره ، هل طغى الجانب المعنوي،هل أعمى المال والثروة قلب سليم ؟ هل يقدّر الحب العفوي بثمن؟ هل للحب قيمة مادية ؟ لا توجد إجابات نموذجية صريحة عند سليم، وفي نفس الوقت نجده معاتبا لنفسه « أيُمكنك أن تتشدّق وتقول أنك تحبه ؟ أليس الحب الحقيقي هو الذي يسمو فوق المصائب مهما كانت مدمّرة ؟ أليس الحب الحقيقي هو الذي يتعهّد الآخر في سقوطه...»[2] وكأنّ سليم أصبح يتسول العاطفة، ومن ثمة يقوم بتوزيعها كما يهوى ويحب والمعروف أنّ الحب هو الذي يكسر كل الحواجز ويدمّر كل المصائب ويتغلب على كل الصعوبات التي تعترضه مادية أكانت أم معنوية ، العاطفة غريزة لاسلوك ، فطرة لا ممارسة يتعوّد عليها المرء ، إنما يُجبل عليها.

بعد اختبار التحفيز القائم على التطويع والإقناع والتأثير ،سننتقل إلى مرحلة ثالثة يمّر بها البرنامج الاستهوائي ، إنها مرحلة الإكراه ،أي إجبار الذات الفاعلة بالقيام بأفعال وتصرفات لا منطقية، لا يستوعبها العقل ، أي أنها مجبرة ومكرهة على الفعل ، سواء أكان هذا الفعل يعتمد على قدرات ذهنية "العقل"، أم نفسية " النوازع النفسية الداخلية "، أي أن الفاعل يؤدي ذلك الفعل قسراً « أليس المال مفتاح السعادة ، ألم يشتر مصباح السبع حبّ ابنة خالته التي كانت متكبرة عليه بماله ، ألم يذلّها حين قدّم لها عشرات الأساور والعقود الذهبية على صينية ،فنظرت إليه للحال نظرة وَلهٍ! »[3] فالثريّ "مصباح السبع" استعمل أسلوب الإكراه للوصول إلى مبتغاه ، فالمال أسلوب للترغيب والجذب ، لقد رفضته ابنة خالته للوهلة الأولى لأن ظروفه المادية كانت صعبة ، لكن عندما نهب وسرق الضحايا تمكن من تحقيق مصالحه وشراء السعادة التي لا تقدّر بثمن.

([1]) الرواية ، ص 64 .
([2]) الرواية ، ص 65 .
([3]) الرواية ، ص 74 .

لكن رياض يتمتّع بطيبة نادرة، فنظرته تفيض عذوبة وطيبة، وهو محب وكريم ومندفع لمساعدة أصدقائه »[1] الطيبة، الحب، الوفاء، أخلاق حميدة ترتقي وتسمو بالمرء إلى درجة العيش في القمم الشامخة، وهي « نابعة من أعماق الكيان البشري...منبثقة انبثاقا ذاتيا كاملا... بمجرد التلويح لها من بعيد.وإذن ففي أعماق الكيان البشري"رصيد" لأحلام البطولة...رصيد "للقيم" العليا في حياة الإنسان»[2]فعنصر الإكراه في برنامج هوى الحب مستحيل، واستحالته تكمن في كونه فطريا لا مكتسبا، تلقائيا لا متعمدا، أما عنصر الإكراه فمتجسد في برنامج هوى الحب، ولكن ليس بالمعطى الذي يفيده هذا اللفظ « لكن رياض لم يغضب من كلام زوجته ، بل أحسّ كم يحبّها ،لقد خسرت مصاغها، وكادت تفقد زوجها ، ومع ذلك فهي متماسكة وتدعمه ...»[3]وفي أثناء الحديث عن هوى الحب نجد "جنان"« ترنو إلى سليم بنظرات متعبة ، لكن التعب لم يحجب الحبّ الجارف الذي تُحسّه تجاهه »[4]. وإن كان يكتسيها مرض خطير جدا لكنها لم تستسلم،بل قاومت حتى النهاية، فقوة الإيمان جعلتها تغيّر مجرى حياة سليم الذي فقد والدته وميراثه وكاد أن يفقد حب والده، وتبعد عنه فكرة الانتقام، يفكر في مستقبل زاه مليء بالأمل والفرح « لم تنهر مرة واحدة أمام سليم ، والنظرات المحبّة المشتاقة التي تبثّها له كلما زارها ، تخفي ألما يُمزّق روحها، كانت تشعر كلما حضر أنّ روحها تُسحق، تتعجب أن حبّهما ازداد قوة بمرضها... المهم أن تبتسم له، وأن ترنو إليه...»[5] الذات الاستهوائية "جنان" ذات فاعلة عملت على تحريك الأحداث وتغييرها ، وزرع الأمل في كل شخص فقد طعم وحلاوة الحياة ، ذات محبّة ، عاشقة للحياة التي خذلتها ، وأخذت كيانها وروحها إلى عالم آخر .

([1]) الرواية ، ص 82 .
([2]) محمد قطب : دراسات في النفس الإنسانية ، ص 251 .
([3]) الرواية ، ص 85 .
([4]) الرواية ، ص 112 .
([5]) الرواية ، ص 114 .

لقد سرى وتغلغل الحب في عروق "سليم" ، غيّرت جنان حياته من الأسوء إلى الأحسن ، كما يقال:« الحب يصنع المعجزات »، وهذا ما طمحت إليه جنان، لكن الأقدار لم تسمح لها بإتمام ما سعت إليه ، وعاودت فكرة الانتقام في مُخيّلة سليم من جديد .

وتقول أيضا :

« وتفجّر شوق عاصف لزوجته حبيبته الصابرة الرائعة ،التي تتحمل بصبر شتائمه واعتذاراته ونوب اكتئابه ، وتسامحه كل مرة بحبها الكبير له »[1].

الوفاء للخليل ،للزوج ،للحبيب ،و الصبر الجميل يولّد التسامح والتعايش بين الأفراد ويخلق نوعا من الحب العذري ،فالأزمات تقوي أواصر الحب والثقة بين الجميع ،فالخيط الرفيع الذي يعمل على تقوية العلاقة بين الزوجين هي الثقة ، وفي الرواية وجدناه راسخا فوقوف زوج رياض معه في محنته أكبر دليل ،مما أدى إلى احتلالها وتبوُّؤها المكانة العظيمة في قلب زوجها، وفي الرواية التي بين أيدينا نجد شخصية "سعاد"متحدية للقدر«...إمّا أنا، وإما أنت أيها المرض الذي يسحق ابني»[2] فنبرة التحدي، المواجهة، التصدي لشيء داخلي يتغلغل في الأعماق،ستنتصر عليه بالصبر والجلاء ، بالحب والتحمل، فعواطفها حب متدفّق يسري بقوة مندفعة، كما يجري الماء في المجاري « تحسّ بدبيب الحب يسري تحت جلدها ،تحسّه على نحو عجيب ،فلا يمكن أن يكون وهما...رغم ثقل هموم قلبها، وتدهور الصحة النفسية لجميل ، فإنها تحس أن ثمّة حلاوة في الحياة ، وبأن الله أوجدنا /.../ لأنها تعرف الجواب بغريزتها فالحياة هي الحب »[3]شعار الأم، الحياة هي الحُبّ، فعاطفة الحب متجذّرة في الأعماق والوجدان، فقد كان مبتغى سعاد رؤية الابن البكر يتعافى والابتسامة على شفتيه، يا ترى هل الابتسامة التي تنبع وتصدر عن سليم ابتسامة حاملة لشحنات ايجابية أم شرارات سلبية، نهايتها وخيمة ؟ ما الذي ينتظر سعاد يا ترى ؟!.

([1]) الرواية ، ص 84 .
([2]) الرواية ، ص 186 .
([3]) الرواية ، ص 193 .

في مرحلة الإنجاز يمكن القول أنه يقابل عنصر الكفاءة « هو البرنامج السردي لـ "الذات" التي تحصل على " الكفاءة "، ويكمن "الانجاز" في تحويل إحدى الحالات ، ولا سيما اتصال " الذات " بـ "الموضوع "»[1] أي تنقل الذات إلى طور التنفيذ ، باعتبار أنها تمتلك الشروط الكافية لانجاز الفعل ، يتبيّن لنا أن الذات سليم نجحت في إقناع الذات الاستهوائية الفاعلة "جميل"، بفعل الانتقام من الذات الشريرة "إسكندر"، وهاهو جميل في طور الإنجاز ،لقد أخرجه سليم من حالة مأساوية ،وأدخله في حالة أكبر منها .لقد أصبحت تعابير وجهه مخالفة تماما لما اعتاد عليه « المسكينة سعاد فرحت وهي ترى جميل ، وقد غادر قفصه ،صار يستحمّ ويلبس ثيابا نظيفة ،ويتسكّع في الشوارع ،وحين تسأله أين كنت ، يجيب ضاحكا :كنت أتنشّق هواءا نظيفا»[2] .

يساهم هذا التوتر الاستهوائي في تغيير مسار الأحداث، من شخصية سلبية كارهة،غاضبة إلى شخصية ايجابية تهوى وتحب ، لكن حبها يخفي سرا عميقا لا يعرفه إلا صاحب الشخصية، إنه شغوف ومحب وهاوٍ لفكرة الانتقام، بينما تبحث الأم في داخلها عن الأمان والاستقرار لها ولعائلتها، إنها تائهة يائسة خائفة من تصرفات ابنها، حاملة في نفس الوقت بريق أملٍ «وبأن ثمة أملا بالشفاء ما دمت أتحرّك في مدار الحب ، مدار الحب – هو أن تشعر – أن الحب يلف كل شيء ، عندها تتحول كل الآلام إلى فرحٍ ورقة ...»[3]هوى الحب ينتصر رغم الوخز والمرارة والتعرض لأصعب المواقف الحرجة ، ينتصر لوجود قوة ثاقبة تُعرَف بقوة الإيمان و الصبر و التحمل .

طعنة الغدر التي تذوقتها وتجرعتها "سعاد" من المحتال ضربتها في الصميم، كانت صدمة، لكن الفقيرة ماديا، الغنية معنويا لم تستسلم، بل قاومت لامتلاكها أمل ثاقب بالإله .

ومن هنا نستطيع القول أن البرنامج الاستهوائي، يستهوي ذاتين متناقضين، ذات هاوية محبة، وذات حاقدة كارهة لتعدد الأسباب.

([1]) جيرالد برنس : قاموس السرديات ، ص 144 .
([2]) الرواية ، ص 216 .
([3]) الرواية ، ص 222 .

3- النسق السردي وبناء الأحداث :

تشكل الدراسات السردية ميدانا مهما في كشف جماليات القصّ ، بوصفها بنيات دلالية تحمل قيما تعبيرية وفنية ، وتسعى هذه الدراسات إلى النتاج الإبداعي، وتقديم القصد الروائي ،بهذا ترسم للكتابة الروائية مساحة شاسعة وواسعة لتضمين الإيديولوجيات على لسان الشخوص، من خلال سير تفاعل الأحداث في زمن ومكان مخصوصين .

أ- الفضاءات الزمانية والمكانية :

تعدّدت الآراء حول مفهوم الفضاء ودلالته، ففي لسان العرب لابن منظور « تشير دلالة الفضاء إلى المكان الواسع من الأرض ،والفعل فضا يفضو فهو فاضٍ ،وفضا المكان وأفضى إذًا إتّسع ، وأفضى فلان إلى فلان إذاً وصل إليه ،وأصله أن صار في فرجته وخيره والفضاء الخالي الواسع من الأرض »[1].من خلال المفهوم اللغوي يتبيّن لنا أن لفظة فضاء تدل على المكان الواسع أو الحيز أو الوصول وبلوغ الشيء .

أمّا الفضاء اصطلاحا فهو«المكان أو الأمكنة التي تقع فيها المواقف والأحداث المعروضة (لإطار " Setting؛"فضاء القصة" Story space) و"مقتضيات السرد" Narrating instances "،وعلى الرغم من إمكانيات السرد دون الإحالة على فضاء القصة، وفضاء مقتضيات السرد ،أو العلاقات القائمة بينها (" أكل جون ؛ ثم نام ") ،فإن " الفضاء " يمكن أن يؤدي دورا هاما في السرد ؛ ويمكن للملامح الفضائية السالفة الذكر ، أو للصلات القائمة بينها ، أن تكون دالّة وتؤدي وظيفية موضوعاتية ، وبنيوية ، أو تكون أداة تشخيص ؛ فإذا تولى السرد راوٍ على فراش المرض بإحدى المستشفيات فقد نستنتج من ذلك بأنّه يحتضر،وبأنّ عليه الإسراع في"عملية السرد" Narration " قبل أن توافيه المنيّة ، وبإمكاننا ، فضلا عن ذلك، أن نتصور بسهولة سرودايكون فيها فضاء السياق السردي في تضاد منتظم مع فضاء المُروى Narrated ، (كأن أروى من زنزانة

([1]) ابن منظور : لسان العرب (مادة ف ض ا) ، ص 15 – ص 16 .

في سجن ، أحداثا وقعت في فضاءات واسعة) ؛ أو سُرودا يكون فيها فضاء المروى ، والذي يكون فيه السرد Narration بالتالي أكثر أو أقل دقّة (أبدأ السرد في فيلادلفيا عن أحداث وقعت في نيويورك) ، أو سرود أتقدّم فيها الأماكن العديدة التي وقعت فيها الأحداث المروية على نحو مفصّل تقريبا ، تبعا لوجهات نظر مختلفة ؛ وهكذا »[1] فالمقصود بالفضاء من خلال تعريف جيرالد برنس هو المكان أو الحيّز باعتباره يحتل مكانا مرموقا في البناء السردي ، وله وظيفة موضوعاتية وبنيوية ، كما يرى أنّ فضاء السياق السردي قد يكون مناسب مع فضاء المروي، في حين نجد في سرودا أخرى يكون فيها فضاء السياق السردي متضّاد مع فضاء المروي كأن نروي أحداثا وقعت في مدن كبيرة في مدن صغيرة والعكس«فهو الحيّز الزماني الذي تظهر فيه الشخصيات والأشياء متلبسّة بالأحداث تبعا لعوامل عدة تتّصل بالرؤيا الفلسفية وبنوعيّة الجنس الأدبي ،وبحساسيّة الكاتب أو الروائي »[2]وهو يدل على الحيز المكاني الذي دارت فيه أحداث الرواية وفق ما يتناسب ونوعية الجنس الأدبي و رؤية الروائي.ومن خلال التعريفين السابقين نستنتج أن مصطلح الفضاء يشمل كل من المكان والزمان.

أوّلا: الفضاء الزماني :

يمثل الزمن عنصرا من العناصر الأساسية التي يقوم عليها فنّ القصّ ،فهو أحد أهم الركائز التي يستند إليها العمل السردي،فبِه تُسجَّل الحوادث والوقائع ،وعن طريقه تنمو وتتطور،أو تتراجع وتنكمش ،وهو الأساس الذي تبنى عليه عناصر التشويق .

يرتبط السرد بالزمن ارتباطا وثيقا، إذ لا يوجد سرد من دون زمن،هذا الأخير يضفي على النص السردي طابع الكلية والحركة والانسجام.فالزمن« مجموعة العلاقات الزمنية –" السرعة " Speed "، " الترتيب الزمني " Order، و"المسافة" Distance ، إلخ – القائمة بين المواقف والأحداث

(1) جيرالد برنس : قاموس السرديات ، ص 182 .

(2) محمد منيب : الفضاء الروائي في الغربة ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1985 ، ص 21.

المروية وسردها ؛ بين" القصة" Story ،و " الخطاب " Discours ،و" المروى" Narrated و " السرد " Narrating »[1].

كما يعرف الزمن بأنه « الفترة ، أو الفترات التي تقع فيها المواقف والأحداث المقدّمة ("زمن القصة" Story time ، زمن "المروى" Narrated time ، erzählte zeit) ،والفترة أو الفترات التي سيستغرقها عرض هذه المواقف والأحداث (" زمن الخطاب " Discours time، زمن "السرد" Narating erzählte »[2]فالزمن هو الوقت الذي استغرقته أحداث الرواية ، ويختلف من رواية لأخرى وذلك بحسب اختلاف الأحداث وتطورها .

فـ«الزمن عنصر مهم في الدراسات النقدية الحديثة ومنه تنطلق أبرز التقنيات السردية المتعدّدة . وتأتي العناية بهذا العنصر الروائي، البنيوي، انطلاقا من ثنائية المبنى / المتن الحكائي ، لدى الشكلانيين الروس ، منذ أوائل هذا القرن. يقول توماتشفسكي – في هذا الصدد – : لنتوقّف عند مفهوم المتن الحكائي Fable ، فإننا نسمي متنا حكائيا مجموع الأحداث المتّصلة فيما بينها، التي يقع إخبارنا بها من خلال العمل. إنّ المتن الحكائي يمكن أن يعرض بطريقة عمليّة Pragmatique حسب نظام طبيعي: بمعنى :النظام الوقتي والسببي للأحداث. وباستقلال عن الطريق التي نظّمت بها تلك الأحداث، أو أدخلت في العمل،وفي مقابل المتن الحكائي،يوجد المبنى الحكائي الذي يتألف من الأحداث نفسها بيد أنه يراعي نظام ظهوره في العمل،كما يراعي ما يتّبعها من معلومات تعيّنها لنا»[3]، ربط تشومسكي مفهوم الزمن بالمتن الحكائي أي مجموع المواقف والأحداث في تتابعها الزمني فهي المادة الأساسية للقصة، كما ربطه بالمبنى الحكائي المتمثل في المواقف والأحداث المرويّة تبعا لترتيب تقديمها للمتلقي.

([1]) جيرالد برنس : قاموس السرديات ، ص 198 .

([2]) م . ن ، ص 201 .

([3]) آمنة يوسف : تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، ط2 ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2015 ، ص 30- ص31 .

يصنّف الزمن إلى داخلي وخارجي؛ المقصود بالزمن الخارجي (خارج النص)، أي زمن الكتابة – زمن القراءة – ، أما عن الزمن الداخلي فهو : زمن داخل النص، أي الفترة التاريخية التي تجري فيها أحداث الرواية ، مدّة الرواية ، ترتيب الأحداث ،وضع الراوي بالنسبة لوقوع الأحداث، تزامن الأحداث ، تتابع الفصول ...إلخ . وينقسم بدوره إلى زمنين : زمن طبيعي ، زمن نفسي .

الزمن الطبيعي (**الأفقي**) :

يدرج ضمن الزمن الداخلي « لهذا الزمن خاصية موضوعية من خواص الطبيعة ، وله جانبان : (الزمن التاريخي والكوني)،فالزمن الطبيعي مرتبط بالتاريخ ،لأن التاريخ يمثل إسقاطا للخبرة البشرية على خط الزمن الطبيعي ، وهو يمثل ذاكرة البشرية ، يختزن خبراتها مدونّة في نص له استقلاله عن عالم الرواية ، ويستطيع الروائي أن يغترف منه كلما أراد أن يستخدم خيوطه في عمله الفني ، ويشار بالألفاظ الآتية (اللحظة ، الساعة ، اليوم ، الأسبوع ، الشهر ، السنة) ولهذا الزمن اتجاه ووجهة نظر إلى الأمام ، متمثل في خطّ أفقي تنطبق عليه حيوية الشخصيات في رواية مستمرة نحو المستقبل. أما الزمن الكوني فيشمل اختلاف الليل والنهار ،وما ينشأ من أيام وأسابيع وشهور وفصول وأعوام وسنين وعقود ودهور ،ويتجسد في الولادة والحياة والشيخوخة والموت من خلال تعاقب الأجيال .إنّ الاهتمام الكبير الذي أولاه النص الروائي للزمن بنوعيه(الكوني والتاريخي) يتجسّد بتحديد المدة الزمنية التي وقعت فيها أحداث كل رواية »[1].

وقد ركّزت رواية "أحلام نازفة" على مراحل الحياة الثلاث: (مرحلة سنّ المراهقة)؛ بين المراهقة مثلتها شخصية جميل ، هذه المرحلة التي تتميز بصعوبتها، ذلك أنّ جميل الضعيف نفسيا تحطّم عند وفاة والده ليواجه نوبات من الألم والغضب ،التي كانت تنتهي به إلى الانعزال « كانت نوبة تنتهي عادة بالانعزال لأيام في غرفته »[2] هذا المراهق الذي عاش طفولة عادية مماثلة لمعيشة أقرانه، ليفقد

([1]) م . م . بان صلاح الدين محمد حمدي : الفضاء في روايات عبد الله عيسى السلامة ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، مج 11 ، ع 01 ، ت ن : 09-06-2011 ، ص 206 .

([2]) الرواية ، ص 27 .

والده في السن التاسع إثر حادث سير، وفي الحقيقة جميل لم يتأثر كثيرا بهذا الفقد لأنه معتاد على سفر والده ومفارقته لأيام وأسابيع بل وأعوام« كان جميل في التاسعة من عمره حين توفي والده بحادث السير المروع ، في الواقع لم يتأثر عاطفيا بموت والده ، لأنه كان معتادا على غيابه ، لذا فقد أحسّ أن موته هو سفر طويل طويل»[1] فالزمن الطويل الذي كان يغيبه والد جميل عن أسرته جعل الأبناء يعتادون على العيش بدونه، فكان مصدرا مادي لهم لا معنويا، هذا الحرمان الذي تعرّض له جميل خاصّة.أدخله حالة نفسية مستعصية يصعب علاجها، فكان يعيش منطويا على نفسه منعزلا عن العالم الخارجي، يتصرف تصرفات لاعقلانية،سجينا لحالة اللاوعي« كم من الليالي قضاها يبكي بحرقة خجلا من تصرفاته متعجبا منها »[2] إنه يراكم آلاما نفسية لا تطاق ،وعقله يعذّبه بأفكار وخيالات تدور كلها حول العنف والموت « يعيش أيامه ملتهبا بالقهر »[3].

ونجد (مرحلة الشباب) تجسدت في شخص سليم؛ هذه المرحلة تمثل مرحلة العطاء والجدّ لم يفهمها سليم بهذا المعنى، إذ نجده يتواكل في عمره،منتظرا أموال والده العجوز وثرواته لتأتيه على طبق من ذهب ودون أي جهد، ليُصدم بزوالها وذلك من خلال إفلاس والده وخسارته لكل ما يملك نتيجة تعرّضه للنهب والاحتيال« الأسابيع الأولى من المصيبة أدخلت سليما بنوب عجيبة من المشاعر المتناقضة، تنتابه لحظات من الشفقة العارمة على هذا الرجل المسكين »[4] لتطغى على قلبه مشاعر الحقد والغضب« تتتابع الأيام ومشاعر سليم الهائجة المتناقضة تصفو وتتحرّر من شوائبها »[5] يبرأ سليم يوما بعد يوم من سموم روحه وأحقاده ، تنكمش قسوته مع والده، فيتعجّب من قوته على التحمل والصبر رغم خسارته ، بل يظلّ متماسكا بإرادة الحياة والاستمرار .

([1]) الرواية ، ص 45 .
([2]) الرواية ، ص 41 .
([3]) الرواية ، ص 47 .
([4]) الرواية ، ص 64 .
([5]) الرواية ، ص 64- ص65 .

بعد أيام من وقوع الكارثة أدرك سليم أنه خسر ميراثه، كان يشعر أن النهار يفترسه ، وما أن يفتح عينيه حتى يشعر أنه سوف يُجن من التوتر والفزع ، وثقل المصيبة يُسمِّره في فراشه يحتار كيف سيُمرر ساعات يومه، والأيام التالية ، لقد أُصيب سليم بنوبة وصدمة نفسية أزجت به إلى فقدان الوعي ،فلم يعد يفهم سبب تصرفاته الغريبة والخرقاء، اللاشعور حلّ محل الشعور والمنطق، ينهشه الغضب والندم والحقد على إسكندر والزمن الراهن .

أما فيما يخص (مرحلة الشيخوخة) فيمثلها "الأستاذ نجيب"« في الأيام الأولى من الزلزال الذي هزّ حياة الأستاذ نجيب وأسرته، بعد خسارته كل ماله واكتشافه أن إسكندر غدره،سرقه وهرب، في الأيام الأولى، توقع أنه قد يموت في أية لحظة بسكتة قلبية، أو بانفجار شريان في دماغه، لأن رجلا تجاوز الثمانين بسنوات ولديه ارتفاع في ضغط الدم، ومرّ في حياته بالكثير من الأزمات، لا يُعقل أنه يملك الصلابة والقوة لتحمل هذه الكارثة »[1] الشعور بالمرارة من المصيبة التي ألمّت بالأستاذ وأسرته جعلت وجهه يبدو مثقلا بألمٍ عظيم ومن حين لآخر كانت عيناه تومضان ببريق حيث أنه نُهب من طرف شاب وثق به لسنوات عديدة،« في اللحظات الأولى لم يستوعب الأستاذ نجيب أنه نُهب تماما، وأنّ إسكندر الذي ظل لسنوات ابنه وصديقه،والنعمة التي أرسلها له الله ليؤنسه في وحدة شيخوخته»[2] لقد خسر كل ما يملك ، الأستاذ الشريف المكافح الذي عاش عمره متقشّفا ،والذي حصل على ميراثه ،وهو في الخامسة والسبعين ليخسره كليا بعد سنوات، فمن المنطقي أن ينهار ويعجز عن تحمل هذه الكارثة ، خاصة أنه لن يملك الزمن ولا الهمّة لتعويض ما خسره .

الزمن النفسي (العمودي) :

يعرّف كاالآتي: « يختلف الزمن النفسي عن الزمن الطبيعي في كونه لا يخضع لمقاييس موضوعية أو معايير خارجية ، بل يرتبط بالشخصية وحالتها النفسية ووعيها لكل ما يجري ،ومن هنا يحدد سرعته أو بطأه ، وتمارس اللغة دورا كبيرا في هذا التحديد، فالشخص شعر بالساعة مثلا ،وكأنها دهورا

([1]) الرواية ، ص 89 .
([2]) الرواية ، ص 89 .

طويلة عندما يكون حزينا أو يعاني من مشكلة ما ،بينما لا يحس الآخر بمضيّها وكأنه لحظات،لأنه بحالة نفسية جيدة ، وتكمن حقيقة هذا الزمن، في ذكر أحداث كثيرة وطويلة لا يستغرق وقوعها سوى دقيقة أو دقيقتين ،فهو يعمل على اقتصاص الأحداث وتجميعها كلها في إطار زمني محدد ، ويتجسد هذا الزمن في الروايات في صور شتى تنقله لنا كالذكريات والصور والرموز والاستعارات والحوارات الداخلية (مونولوج)، وهي انعكاسات للحقائق الأساسية للعالم الداخلي لوعينا »[1] لهذا النوع من الزمن حضور في النص الروائي الذي بين أيدينا ، حيث يظهر الزمن الذاتي مصاحبا للحالة النفسية للشخصية " إسكندر " من خلال المونولوج وحديث النفس« نصاب ناجح ، نصاب سافل ناجح ، هذا هو أنا ، هكذا كان يشعر إسكندر وهو يخضع لانفعالات عنيفة متناقضة ، هي مزيج من خوف إلى حد الموت ونشوة انتصار تذهب العقل ... »[2] لقد يجره "مصباح السبع" بثرائه الصاروخي الذي تأتّى له من خلال مخالفته للقانون ، شعر إسكندر بالذلّ والمهانة ، بالرغم من نجاحه الذي كان ينتظره منذ الأزل ، إذ تنتابه مشاعر متناقضة مكونة من خوف ورعب ، وانتصار ونجاح وقوة ، فالحوار الداخلي الذي يدور في داخل الذات "إسكندر" حوار يعترف له بالحقيقة الكامنة في العالم الداخلي،لقد انتصر المال والثروة على العلم والشهادة، فالفاشل دراسيا تمكّن من الإيقاع بأقرب النّاس له والاستيلاء على ملايينهم .

«...صار إحساس سليم بالزمن مختلفا منذ الكارثة ، كيف يمكن للزمن أن يتحول إلى عبء...»[3]. فالذات الاستهوائية "سليم "وضحايا إسكندر ،ينتظرون ظهور إسكندر والقبض عليه ، هذا الانتظار الطويل جعلهم يشعرون بأنَّ الزمن يتراجع إلى الوراء ،هذا هو حال المرء عندما يريد الحصول على معجزة ما، فإن الزمن يتغير ولا يسير كالمعتاد في نظره ، في حين الزمن يبقى كما هو من حيث سيرانه « غاص قلب سليم في وحل الخزي، وهو يتذكر العام الجهنمي، كيف كان يهيم في

([1]) سمر روحي الفيصل : الرواية العربية ، البناء والرؤيا ، إتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، سوريا ، 2003 ، ص131 .

([2]) الرواية ، ص 57 ، ص 58 .

([3]) الرواية ، ص 150 .

الشوارع، متسمّم الروح، منقبض الملامح، متشوها من الغضب والقهر...»[1] فسليم يسترجع صورا وذكريات للماضي التعيس الذي عاشه وهو يصارع الغضب والقهر والحقد على النصاب والمحتال إسكندر.

ومن التقنيات المهمّة للزمن تقنية الاسترجاع وهي:« مفارقة زمنية باتجاه الماضي انطلاقا من لحظة الحاضر،استدعاء حدث أو أكثر وقع قبل لحظة الحاضر (أو اللحظة التي تتقطع عندها سلسلة الأحداث المتتابعة زمنيا لكي تخلى مكانا للاسترجاع) ؛"لقد غضب جون غضبا شديدا ،وعلى الرغم من أنه كان قد أقسم منذ عدة سنوات ، بأنه لن يستسلم لنوبات الغضب ، إلا أنه شرع في الصراخ في بشكل هستيري"، إن للاسترجاعات "سعة " Amprhtude "،فالاسرجاع في متتالية "لم يكن بمقدور ماري أن تواجه الأمر ،ومع ذلك فقد قضت بضع ساعات في اليوم السابق استعداداً لهذه المواجهة " له" ،"سعة "، مقدارها بضع ساعات ،" مدى " مقداره يوم واحد ،ويوجد نوعان من الاسترجاعات : استرجاعات تكميلية " Completing Analepses " ووظيفتها ملء فراغات سابقة نشأ عن " الثغرات " Ellipses ،و" استرجاعات مكررة (تكرارية) Repeating analepses أو" تذكر " Recalls ،وهي تقوم بسرد أحداث تمّ ذكرها بالفعل من جديد »[2] فالاسترجاع هو أن يتابع الراوي تسلسل الأحداث، حسب ترتيبها في الحكاية، ثم يتوقف راجعا إلى الماضي، ليذكر أحداث سابقة للنقطة التي بلغها في سرده والغاية منه توضيح ملابسات موقف معين، ويذكر أحداث سابقة عن الحدث الذي يسرد في لحظته الحاضرة ،ويرتبط بالذاكرة الشخصية، ويتم استدعاء بعض المواقف والوقائع وجعلها تنشط في نطاق الحاضر، كذلك هو أسلوب فني الغرض منه سدُّ الفجوات والثغرات التي يوجدها السرد وإغناء العمل القصصي بتقنيات فنية وجمالية «...طوال سنوات علاقتها الجنسية معه لم تشعر ولا مرة واحدة بأيّة لذة أو عاطفة، فكرت أنها قد تكون مصابة بالبرود الجنسي، لكنها استبعدت تلك الفكرة...»[3] فهذا المقطع السردي جاء ضرورة ليطلع المسرود

([1]) الرواية ، ص 161 .

([2]) جيرالد برنس : قاموس السرديات ، ص 16 .

([3]) الرواية ، ص 31 .

له على أحداث وقعت قبل بدء الرواية، ألا وهي حالة سعاد وعلاقتها مع زوجها قبل وفاته، ففي بداية الرواية قدّمت لنا الروائية شخصية سعاد على أنّها أرملة فقيرة لتسترجع لنا وقائع مضت قبل بدء الرواية وتعرّفنا من خلالها على ماضي سعاد، ف« البعد الزمني مرتبط في الحقيقة بالشخصية لا بالزمن حيث أن الذات أخذت محل الصدارة ،فقد الزمن معناه الموضوعي وأصبح منسوجا في خيوط الحياة النفسية »[1].

لقد استحدثت الروائية "هيفاء بيطار" أساليب جديدة في تجسيد الزمن من خلال التجربة والخبرة التي يمرُّ بها المرء، فهو زمن ذاتي خاص بالشخص في حد ذاته ، الذي لا يخضع لمعايير خارجية و لا لمقاييس موضوعية لذلك لجأت إلى المونولوج الداخلي ، وأدخلت عناصر الزمن وقامت بمزجها بالصور والرموز والاستعارات بغية تصوير الذات وبيان انفعالها وتفاعلها مع الزمن.

أمّا تقنية الاستباق فهي « أحد أشكال " المفارقة الزمنية " Anachrony الذي يتجه صوب المستقبل انطلاقا من لحظة الحاضر، استدعاء حدث أو أكثر سوف يقع بعد لحظة الحاضر (أو اللحظة التي ينقطع عندها السرد التتابعي الزمني لسلسلة من الأحداث لكي يخلي مكانا للاستباق (Anticipation , Flach Forward , Prospection) : " لقد تملكته نوبة شديدة من الغضب ، وبعد أيام قليلة ، سوف يندم على ما فعل ، ولكنه الآن لم يفكر في عواقب غضبه بعد ومن ثمّ راح يشرع في الصراخ ") ،والاستباقات لها سعة (اتساع Amplitude Extent / (إنّها تغطي مساحة من زمن القصة) ولها مدى " Reach " معين (يكون زمن القصة الذي تغطيه على مسافة زمنية ما من لحظة " الحاضر"): ففي ملفوظ مثل " لم يبد على حين أنّها لاحظت شيئا ومع ذلك وفي اليوم التالي سوف تفكر في المسألة لعدة ساعات "،" يكون للاستباق " "سعة " بضع ساعات و " مدى " يوم واحد، إن الاستباقات التكميلية تملأ الفراغات لاحقة تنشأ عن " الثغرات " Ellipses في السرد ، أما الاستباقات التكرارية " أو " الإعلانات Advence notices فتسرد

(1) سيزا قاسم : بناء الرواية ، دراسة مقارنة في « ثلاثية » نجيب محفوظ ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، مصر، 1978 ، ص 77 .

مسبقا أحداثا أحداثا سوف يتم ذكرها مرّة ثانية فيما بعد »[1] فهو التكهُّن بالأحداث المستقبلية، أي أن الراوي يستبق الأحداث، وهي نوع من تلخيص الأحداث المستقبلية؛ إذ تقدم الأحداث لا كما تقع وإنما كما ستُحكى فيما بعد « لا شيء يغوي كالانهيار ، فحين تلقَّى سليم خبر إفلاس والده، تحديدا خسارته لكل ما يملك، أحسّ كما لو أن نزيفا صاعقا تفجّر في دماغه، وأحسّ بقوة هائلة تجرفه،وانبثقت صورة شلال هادر يجرف كل شيء في طريقه عن مخيلته النازفة »[2]، فالروائية تستبق الأحداث، بدأت الحكاية من الوسط حين تلقَّى سليم الصدمة ، وتأثيراتها العنيفة على نفسيّته.

لقد مثَّلت هذه الفكرة نوعا من الاستباق الزمني ،إنه استشراف للمستقبل إذْ يُعدّ توطئة ومقدمة لأحداث لاحقة تروى من طرف الراوي ، غايتها حمل القارئ إلى توقُّع حادث ما أو التكهُّن بمستقبل إحدى الشخصيات الفاعلة .

هذه الرواية تفتح آفاق للقارئ ، إذ تبدأ بحاضر لا نعلم ماضيه ،ثم تستدرج الأفكار إلى أن تصل إلى عقدة ما ،لكي ترجع إلى الخلف ،وتحكي عن الماضي ،وهنا نجد الكارثة التي حلَّت بسليم وأبوه ،وأثرها النفسي والجسدي على كليهما ،في حين نجد شخص سعاد مستبق كذلك للأحداث .

والمؤشر الدال على وجود هاته التقنية، نجد الروائية تبتدئ بفاجعة ومأساة عنيفة ألمت بضحايا إسكندر، لقد تحوّل المعقول إلى اللاَّمعقول، المنطقي إلى اللامنطقي، الشعور إلى اللاشعور، الوعي إلى اللاوعي، اقترن الزمن الماضي بالحاضر بشكل قوي جدا في الرواية.

ويلعب كل من الاستباق والاسترجاع دورا بارزا في بناء الرواية باعتبار تأثيرها المباشر والمهم في وتيرة السرد .

([1]) جيرالد برنس : قاموس السرديات ، ص 158 .

([2]) الرواية ، ص 07 .

ومن عنوان الرواية "أحلام نازفة" يطالعنا الراوي بالعنوان ليؤكد لنا أحلام المجتمع اللامتناهية واللامتكاملة واللامعقولة في عصر المادة ،زمن المال والثروة ،فالفقير أصبح يحلم أحلاما وردية،لا يستطيع تحقيقها إلا من خلال ابتعاده عن الإله وانتفاءه للضمير وإعدامه للأخلاق .

ثانيا : الفضاء المكاني :

إذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث ،فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه ،فهو الإطار أو الحيز الذي تقع فيه الأحداث ،إذ يرتبط هذا الأخير بالإدراك الحسي للمكان «الروائي أهمية كبيرة لا تقل كثيرا عن أهمية الزمن، فإذا كانت الرواية في المقام الأول فنّا زمنيا يضاهي الموسيقى في بعض تكويناته و يخضع لمقاييس مثل الإيقاع ودرجة السرعة ، فإنها من جانب آخر تشبه الفنون التشكيلية من رسم ونحتٍ في تشكيلها للمكان »[1]،إنّ تقنية المكان مرتبطة ارتباطا وثيقا بتقنية الزمان، إلى درجة أنه يستحيل عزل المكان عن الزمان كما يستحيل تناول الزمان في دراسة تنصبُّ على عمل سردي دون وجود مكان،هذا ما يعرف بالزمكان الروائي « العلاقة المتبادلة الجوهرية بين الزمان والمكان ، المستوعبة في الأدب استيعابا فنيا باسم Chronotope»[2]. فالارتباط الوثيق بين التقنيات يولّد لنا فنّا منسجما ، متناسقا له أبعاد عدّة وفي الرواية لهيفاء بيطار نلحظ هذا، إذْ عمدت الروائية إلى التنقُّل بين الأماكن ،هذا ما أفضى لها بإبراز جملة من الثنائيات الضديّة للتعبير عن الأوضاع الاجتماعية مثل الطبقات العليا "مصباح السبع" ، صاحب الفندق والطبقات الدنيا المنعدمة الفقيرة مثل :سعاد ، وديعة ...إلخ « كان السائق الأكثر شهرة في المدينة، الذي يسافر بين اللاذقية وبيروت، وقد جمع مالا وفيرا خاصة أثناء الحرب الأهلية في لبنان، إذ كان يقبض ثمن المغامرة بالسفر إلى بيروت، لكنه كان يبدِّد المال على النساء »[3]،لقد كان أبو جميل يستغلّ الأوضاع المزرية ليجمع الأموال ، لكنه كان يبدّدها ولا يهتم لما قد يحصل له جراء هاته الأفعال غير القانونية.

([1]) آمنة يوسف : تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، ص 32 .

([2]) م . ن ، ص 33 .

([3]) الرواية ، ص 30 .

وفي موضع آخر نجدها تستند إلى التعابير المجازية للتعبير عن الحالات النفسية المعنوية بشيء مادي ومحسوس«... كما لو أنَّ حياة الترف هي الحياة الوحيدة التي تستحق أن يعيشها الإنسان... الثراء يُمْرِمر روحه ويسمّمها، ويعجز عن الخروج من سجن أفكاره التي تحوم دوما حول عالم الترف »[1] لقد انتفى الضمير وأُعدمت الأخلاق في عصر المادة؛ إذ أصبح عالم الثراء هو المسيطر على الأفكار والعقول.

« فالنصّ الروائي يتشكل من الحكاية ،وهي الأحداث التي تدور في إطار زمني ومكاني ما والسرد هو الملفوظ الروائي الذي يقوم به السارد سواء كان هذا الملفوظ مكتوبا أو منطوقا ، والخطاب هو السياق اللغوي الذي يُضمِّنه الروائي عناصر حكايته، وكل من الزمن والمكان له حضوره في كل عنصر من هذه العناصر، لذلك نعني بالشكلين : الزمني والمكاني في إطار هذه العناصر السردية »[2] ويتّضح لنا من خلال هذا التعريف انتماء الشخصيات إلى هذه الأمثلة، فالسارد ربط الشخصيات بأمكنة معينة لها علاقة بالضرورة مع الشخصيات، ففي كل الروايات هناك انتماء للمكان. فالأمواج الغاضبة التي لا تنفك تصفع صخور الشاطئ بلطمات متلاحقة،والصخور تظل صامتة بكبرياء تتحمل الصفعات، إلى أن تهدأ ثورة الموج، ويعمُّ السلام ويشرق قوس قزح، من قال أن هذه الصخور لاتضمُّ قلبا حنونا في جوفها؟!»[3]،حيث وضعت الروائية تصويرا رائعا للحالة التي تميّز بها والد سليم،لقد شبّهت الغضب بالعاصفة والأمواج التي تلطم الصخور، وردّة فعل الأستاذ نجيب الذي مزال يعيش يوما بعد يوم بقوة قلبه الذي لا يكبر ولا يشيخ لأنه مثقل بالحب تلطمه الصفعات،لكنه صامد متحجر في مكان إلى أن تهدأ نار الحقد والغضب من قلب ابنه سليم« لو أجريت لها عملية لعاشت، وإن لم تنجح العملية سيشعر أنه قدّم لها كل الإمكانيات تُرى كم من الناس يموتون كل يوم لعدم توفر

([1]) الرواية ، ص 51 .

([2]) مراد عبد الرحمان مبروك : آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة " الرواية النوبية أنموذجا " ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مارس 2000، ص 181 .

([3]) الرواية ، ص 68 .

المال اللازم والعناية الطبية ؟ أثناء مرض جنان وبقائها لأيام في المشفى الحكومي...»[1]،الأحداث تصنع لنا مفارقات للحياة ،فهناك من يعيش في ثراءٍ وعزّ وفنادق فخمة،وهناك من يعيش حالة بؤس وفقر مفقع ، لعدم توفر المال ، فحالة جنان حالة مستعصية تحتاج للمال اللازم للعناية .

«يشعر سليم وهو يرشف القهوة مع سعاد في المطبخ أنّه يتأمّل لوحة بديعة، امرأة مكافحة جميلة بصبر،بل صار فعلا ينظر إليها كلوحة مدهشة، شاعرا بعظمة هذه البطلة...»[2]بالرغم من انشغالاتها في المطبخ ، وحالتها المأساوية المزرية إلا أننا نجدها امرأة فقيرة ماديا وغنية معنويا، تفاجأ سليم عند رؤيته لهذا الوضع إلى درجة قوله لها : أنت عظيمة يا سعاد .

تعددت الأماكن في الرواية من اللاذقية ، بيروت،لبنان،آسيا ،المدرسة،الصخور،الشاطئ،المطبخ ، لقد استعملتهاالروائية لعدة أغراض: التعبير عن الحالات النفسية في شكل محسوس.فهذا البيت الأثري هو أجمل بيوت اللاذقية،إذ يحمل الذاكرة والتاريخ والتراث، فكان للمكان أهمية كبيرة ، ودور فعال في بناء النص الروائي إذ لا يمكن سرد أحداث أو ووقائع دون ذكر أماكن وقوعها ، كما يساهم في إضفاء جوّ من الحركة على الرواية .

ب : ترابط الأحداث واتّساقها :

يعرّف جيرالد برنس الحدث بقوله:

« الحدث أهم عنصر في القصة " ففيه تنمو المواقف وتتحرك الشخصيات ، وهو الموضوع الذي تدور القصة حوله ، يعتني الحدث بتصوير الشخصية في أثناء عملها ، ولا تتحقق وحدته إلا إذا أوفى ببيان كيفية وقوعه والمكان والزمان والسبب الذي قام من أجله كما يتطلب من الكاتب اهتماما كبيرا بالفاعل والفعل لأن الحدث هو خلاصة هذين العنصرين»[3] فتكون أفعاله مرتّبة ترتيبا سببيا، وتدور

([1]) الرواية ، ص 115 .

([2]) الرواية ، ص 195 .

([3]) شريبط أحمد شريبط : تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، د . ط ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، 1985 ، ص 21 .

أحداثه حول موضوع عام،إذْ تعمل هاته الأحداث على كشف أبعاد الشخصية، وصراعها مع الشخصيات الأخرى،فهو المحور الأساسي الذي يربط باقي عناصر القصةوالرواية ارتباطاوثيقا.

وهناك عدة طرق لعرض الأحداث قد يلجأ الكاتب لإحداها وذلك تبعا لثقافته ورؤيته الفنية، والطريقة المثالية المعتمدة في الرواية العربية المعاصرة طريقة مخالفة تماما للطريقة التقليدية القديمة؛ إذْ تبدأ هيفاء بيطار هنا الحكاية من منتصف الأحداث بتصوير التأثير الصاعق العنيف للحدث الذي بدوره زلزل كيان بطل الرواية "سليم"« لاشيء يغوي كالانهيار فحين تلقى سليم خبر إفلاس والده تحديدا خسارته لكل ما يملك أحسّ كما لو أن نزيفا صاعقا تفجر في دماغه،وأحسّ بقوة هائلة تجرفه وانبثقت صورة شلّال هادر يجرف كل شيء في طريقه عن مخيلته النازفة »[1]، ومن خلال تتبُّع أحداث الرواية يتّضح أن هيفاء بيطار قامت بالبدء من النهاية،تعتبر هذه الرواية نموذجا ناجحا في مساق الرواية العربية المعاصرة.

بدأت الرواية بالانهيار، انهيار عصبي وجسدي مسّ الكيان بأكمله ،كان سببه خسارة الثروة في عصر يصعب فيه توفير الحاجيات المادية .فمنذ هذه اللحظة تنتشر الشرارات ودوائر الارتباك الفضيعة الصامدة التي ستهُز حياة سليم وتقوضها، بدأت الأحداث بالسرقة والنهب، لقد سرق "إسكندر" النصاب كل ما يملكه والده العجوز ذو الأربعة والثمانين عاما وهرب«كان الأب يهزّ برأسه ببطء مشلولا ومنهارا تحت وابل الصراخ الهستيري لابْنه، مذعورا من هول ما حلّ له وما ينتظره، متأملا بخبل أن يكون هذا المشهد مجرد كابوس بانسحاقه وفداحة خسارته »[2] فتبدو الأحداث متسلسلة، مرتّبة ترتيبا نسبيا « خرج صوت العجوز من أعماق روحه : غضب من الله ، زأر سليم وقد أفقده جواب والده آخر ذرة من صوابه : غضب من الله ، وما علاقة الله بالموضوع ؟ أنت وثقت بالحيوان إسكندر

([1]) الرواية ، ص07 .
([2]) الرواية ، ص 10 .

وأعطيته ملايينك التي كان عليك أن تقدمها لي منذ سنوات، ونقول أنه غضب من الله »[1]. الكاتبة هنا تبحث عن مفهوم العدالة الإلهية ،كيف تُطبَّق، وما الإجراءات المعتمدة لتحقيق العدالة .

تدور الأحداث في الرواية، لكننا نلحظ الانحياز إلى الأب المحطم نفسيا وجسديا من طرف الروائية ، فبالرغم من وخز المرارة والمعاناة إلا أنّ الوجدان والعاطفة التي يحملها ويكنّها الأب لابنه لا توصف« وداهمته عواطف قوية غريبة نحو ولده، كان يتأمله كما يتأمل لوحة، نظرة مُتفحِّصة...»[2] فنجد الأب يبحث عن التفكير وطلب المغفرة من الابن نفسه فالابن يحاسب والده بالرغم من عدم أحقيَّته بذلك، إنّ حبّ سليم لأبيه حب يقوَّض ويُحسب بالميزان مثلما نزن أي مادة أخرى في حياتنا.

لقد واجه العجوز الذي تجاوز عمره الأربعة والثمانين عاما ، هذه المحنة الساحقة بالرجوع إلى الطفولة والأمومة ، إنّه يحن إلى الأم العطوفة، ويطلب منها العون وحمايته من الغطرسة التي وقع فيها ابنه، هذا الحنان له شرارات إيجابية، إنه يبعد عنه تلك الانفعالات العدوانية اللاّواعية واللاّشعورية«وحين وصل العتبة ،ترك طفولته خارجا»[3]إنها لمحة شعرية عالية مستدرجة من قبل الروائية فهي إشارة مهمة لعلاقتها بالطفولة التي تحفظ بها كل المكونات البشرية (ذكرياتها، أوهامها، آمالها، خيباتها وإحباطاتها وبشاعة حرماتها).

«لم تسمع بفرار إسكندر إلا بعد أيامٍ من دويّ الخبر في المدينة ،إسكندر الذي اعتبرته هدية من القدر ليدعمها ويساندها في رحلة الشقاء الأبدية التي تسمّى الحياة »[4]،سعاد ضحية من ضحايا المحتال إسكندر،لقد أُختيرت لكي تعبّر عن الوضع الاجتماعي المأساوي الذي آل إليه المجتمع العربي الراهن ،والجانب النفسي المحتكم بالعامل اللاشعوري إنها تُعبّر عن الحياة بحكمة فلسفية تحرك جانبا

(1) الرواية ، ص 10 .
(2) الرواية ، ص 20 .
(3) الرواية ، ص 15 .
(4) الرواية ، ص 23 .

من الردود الفعلية واستجابة للتساؤلات المرتبطة بالكون ، لقد اعتمدت الروائية في بناء متنها الحكائي على لغة تُعبِّر عن الواقع ،إنها تعتمد على لغة شعرية ممزوجة بعذابات الإنسان المقهور الذي لا يجد من يعبر عن حالهم إلا الكاتب المبدع الي يبتدع الكلمات والحروف لكي يعبّر عن هذا العصر، فالأحداث متسلسلة ،والكوارث متعاقبة،فهي جامعة لمسارات الرواية، إذ نجد شخص جميل بن سعاد معذّب بأفكار سوداوية ،فهو خائف .

وهذه المرأة المقاتلة لا تسمح لنفسها بالانهيار،بالرغم من التعب الذي يعتريها ،ولم تسمح للأقدار أن تُضعف ارادتها على المقاومة وإعالة أبناءها ، خاصة بعد وفاة الأب الذي كان همه توفير الحاجيات المادية لا أكثر ولا أقل ،وتحقيق ملذاته وشهواته«كان السائق الأكثر شهرة في المدينة الذي يسافر بين اللاذقية وبيروت ،وقد جمع مالا وفيرا خاصة أثناء الحرب الأهلية في لبنان، إذ كان يقبض ثمن المغامرة بالسفر إلى بيروت ، لكنه كان يبدد المال على النساء »[1].

اختلقت الروائية شخصية سعاد لكي تعبر عن القوة ومدى تحمل المرأة للصعوبات،الأنثى رمز للكون والخلود ، الجسد الأُمومي الذي يمزق الأحشاء لكي يكون له دور البطل .

الرواية هنا عبارة عن وجود بطل يكافح ويضحّي ليستمر في الحياة، وشرّير يريد الحياة، يتحدّى الموت ،لكن مفهوم البطولة لدى الأم يختلف بصورة قطعية، قلب طافح بالحب يتحدى لكي ينتصر بالرغم من العذاب والألم ،القهر والمعاناة، لكن يتبادر في الأذهان سؤال: لماذا الحياة تعاقبها بهذا الشكل؟ حتى ابْنها البكر مرض مرضا نفسيا بالرغم من أنه كان من الأوائل، الحيرة ، الدهشة مرسومة على وجه هاته المرأة الكادحة، الآلة التي أصبحت تعمل ليلا نهارا، غير مسموح لها بالتوقف أو حتى التفكير في الراحة، كان صديقها وخليلها الإله الذي جعل منها جسدا من فولاذ يتحمل كل الشدائد أقسى ما يؤلم الأم حين ترى ابنها يتعذب ولا تستطيع عمل أي شيء لإنهاء عذابه، الحل يكمن في الصمت، وخاصة أنها لا تفهم في المرض،فجأة يمرض ابنها بمرض نفسي ،مرض يحوِّل جميل من إنسان طامح سعيد،مُحبّ للحياة إلى إنسان آخر تعذبه الشياطين، إنها لا تعرف إلا أن هناك موضع للعقلاء

([1]) الرواية ، ص 30 .

وآخر للمجانين« فهي لا تعرف شيئا عن الأمراض النفسية، تعرف أن هناك عقلاء أي صحيحي العقل ، ومجانين أي مختلي العقل، ولا تحتفظ بخيالها سوى بصورة بعض المجانين الذين يركضون في الشوارع يشتمون المارة...»[1]، لم تكن سعاد تتذكر نفسها أو تعي ذاتها ككيان مستقلّ حتى قبل وفاة زوجها ، كانت تعبد زوجها وتنزوي المرأة في سجن البيت مبرّرة مهانتها بالولاء لعائلتها ، لقد أصبحت سعاد آلة تشتغل بالألم ،وقودها العذاب، كانت تعاني نوبات بكاء حارقة ونحيب موجع طالع من أعماق ملتهبة بالقهر،المرأة العربية تعتبر أمومتها قدرا سماويا وجودها محصورا بين حرفين اثنين هما : الألف والميم « بل إنها اهتدت إلى طريقة عجيبة لتخفيف تأزم روحها ،بأن تخربش على ورقة كلمة أم ، تكتبها عشرات المرات،وبأشكال متنوعة ،تشعر أنها تتماشى مع حرفين، ويصبحان صورتها، الألف صورتها منتصبة ،مكافحة ، عنيدة، ممتلئة تصميما وأملا مشحونة بحي لا محدود لأولادها ، والميم متعبة ،مهزومة ،مرهقة وبائسة ،وتشعر أنها فقدت ذاتها وسحقت أنوثتها ،وهي إما الألف المنتصرة أو الميم المهزومة »[2] لقد امتزج الحزن بالخوف والقلق، المستقبل المجهول الذي تركه لها زوجها ،أم التفكير في الأبناء، فهي لا تملك العلم ولا الصنعة لكي تواجه الكارثة التي ألمّت بها، فالسبيل الوحيد الذي تركها ترتكز وتحاول المواجهة هو القلب الكبير المشبع بالحب والعطف على الأبناء .

بالرغم من أن الروائية "هيفاء بيطار" بدأت الرواية من النهاية إلا أننا نلحظ جليا تسلسلا في البناء الروائي من حيث الزمان والمكان وعلاقة الشخصيات الروائية بالأحداث المسيّرة للرواية، فالبداية كانت كارثية وفي الوسط بدأت الروائية باسترجاع الأحداث التي سبقتها، وفي الأخير أنهت الروائية الرواية بنهاية جدّ تعيسة ،لقد وضعتنا الروائية في جو من التشويق، فالقارئ متلهف لمعرفة النهاية، لكنه لا يستطيع معرفة النهاية إلا من خلال تتبع الأحداث الرئيسية خطوة بخطوة .إذ يمثل الحدث العمود الفقري في ربط عناصر الرواية من شخصيات وزمان ومكان،ولا يمكن دراسة رواية ما دون

([1]) الرواية ، ص 27 .
([2]) الرواية ، ص 28 .

وجود عامل محرك ،فالحدث هو الذي يبثّ الحركيّة والنمو في الشخصية، التي بدورها تتحرك من مكان لآخر وداخل زمن معين.

وعليه كانت هذه الرواية كلٌّ متكامل، إذْ لا يمكن أن يتشكل المكان دون وجود شخصيات ، وهذا يستلزم بالضرورة زمن معين، ولن تتحرك الشخصيات وتبرز وتنطلق منه الأحداث، والعامل الرئيسي المسيِّر لكل هاته العناصر هي اللغة،فاللغة تعني لغة الكاتب وخياله ومدى استيعاب المتلقي ، فكل مكون من هذه المكونات يؤثِّر في الآخر وبالتالي يتأثَّر به.

ج- التشاكلات السيميولوجية الاستهوائية :

يمكن استخلاص التشاكلات الهووية من الملفوظ السردي، إذ يؤخذ اللفظ كعلامة دالة ومؤشر للكشف عن الجانب الشعوري للذات، وتكون هذه العلامة أداة في الكشف الناطق في النفس البشرية والتي لا ترى بالعين المجردة؛ حيث تقوم النظرية على جملة من المفاهيم التي تستخدم في تحليل النصوص للكشف عن المعنى، ومن هذه المفاهيم التشاكل والتباين« فالتشاكل في المفهوم السيميائي الغربي آتٍ في أصل الوضع من جذرين يونانيين أحدهما هو (isos) ، ومعناه يساوي أو مساوي ، والآخر هو (Topos) ومعناه المكان ،ومع مرور الوقت أصبح هذا المصطلح يطلق توسعا على الحال في المكان من باب التماس علاقة المجاورة أو علاقة الحالية ذاتها »[1].

وقد احتلّ مفهوم التشاكل مكانا مهما في الإتجاه السيميائي البنيوي ويعتبر " غريماس " أول من نقل لنا هذا المصطلح ولكنه قصره على تشاكل المضمون ليُعمّمه"فرانسوا راستيه"ليشمل التعبير والمضمون معا.[كما أن هناك إرهاصات لهذا المصطلح في الدرس العربي ولكنها سطحية ، حيث أن

([1]) فيصل الأحمر : معجم السيميائيات ، ط1 ، الدار العربية ، للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2010، ص 235 .

الدارسين لم يلامسوا جوهره ولبّه،وأطلقوا عليه تسميات عديدة نجد منها :الطباق ،المقابلة ، اللف، النشر ، الجمع والتورية][1].

ومنه فمفهوم التشاكل ليس حديث النشأة وإنما ظهر عند العلماء الأوائل، إلا أنه كان بمصطلحات مغايرة ،وجديدة هو التسمية التي أطلقت عليه، فبعد أن كان طباقا ، أو مقابلة ... تغيّر ليطلق عليه مصطلح التشاكل« isotopy "؛تكرار الملامح السيموطيقية التي تشكل تماسك النص، ففي ملفوظ مثل " كان الجميع يرتدون أفخر الثياب وتوجه جون و ماري إلى مائدة رائعة في منتصف حجرة فخمة الزخارف حيث قدمت لهما الشمبانيا "، يمكن القول بأن الكلمات التي توحي بالترف "أفخر الثياب"؛"رائعة"،" فخمة الزخارف "، تقدم تشاكلا لـ " الترف "، ويشير المصطلح بالمعنى الضيق ،إلى تكرار الوحدات الدلالية في النص (أو جزء من)، أما في معناه العام ، فإنه يشير إلى تكرار الوحدات على أي مستوى من المستويات (الصوتية ، والأسلوبية ، والبلاغية ، والتركيبية والعروضية...إلخ »[2]، فالتشاكل أو التباين آلية إجرائية سيميائية تحدد العلاقة الكامنة بين الوحدات الدلالية في سياق النص السردي، وتضم هذه الآلية الوحدات المعنوية الصغرى، وهذا ما تتطلبه الدراسة السيميائية.« إنّ التشاكل هو مفهوم يخرج النظام من سياقه الخارجي العام ولا يتعامل معه إلا بوصفه مجموعة من الوحدات تتماثل دلاليا مع الإشتراك في التراكيب السيمية »[3].

والتشاكل الدلالي في الخطاب يحقق الانسجام والاتّساق ويُلغي كل إمكانيات الإبهام الدلالي، ويتحقّق الإنسجام نتيجة مختلف التشاكلات الدلالية التي تميز الخطاب والتي يتم تحقيقها بفعل التوارد المتكرر لمجموعة من المقومات السياقية،حيث يتميز الخطاب بتراكم قسري لمجموعة من الوحدات المعجمية تندرج ضمن نفس الإطار وتعمل على توليد مقومات سياقية متشابهة،مما يحقق على مستوى الخطاب مجموعة تشاكلات.وبالتالي فالتشاكل يتحقق بوجود وحدات دلالية متقاربة المعنى في مستوى

([1]) ينظر: فيصل الأحمر : معجم السيميائيات ، ص236 « بتصرف ».

([2]) جيرالد برنس : قاموس السرديات ، ص 100 .

([3]) قوتال فضيلة : التشاكل والفعل الإستعاري في النصوص الأدبية ، (سيميائيات) ، مجلة دورية محكمة تصدر عن مخبر السيميائية وتحليل الخطابات ، ع2 ، د .ط ، منشورات دار الأديب ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2006، ص 92 .

الخطاب « إذ يتوسع عدد الوحدات التي تسهم في تحقيق التشاكل ؛ بحيث يشمل تراكم المقومات السياقية(المحددة عن طريق السياق) والوحدات اللغوية (مستوى العبارة) وما يصطلح عليه"راستين " بالمقومات الخاصة(Sémes Spécifiques)التي ترادف" المقومات النووية " Mucléaires Sémes » " عند غريماس ":كما أن المقومات السياقية لا تنحصر في تكرار نفس المقومات السياقية بل تشمل أيضا المقومات السياقية المنتمية لنفس المقومات، هذا التوسع الذي يقترحه " راستي " لمفهوم التشاكل بإدماج مجموعة من الوحدات المتراكمة يستند عليه لتحديد مستوى التحليل الذي يؤطر ضمنه التشاكل.إنّ تحقيق التشاكل اعتمادا على تراكم الوحدات اللغوية والمقومات السياقية ثم المقومات الخاصة يعد مؤشرا أساسيا على كون التشاكل يتحدد على المستوى المركبي (الأفقي)، لأن مبدأ التراكم الذي يخصص نمو الخطاب وتوالده واتساقه لا يمكن أن يتحدد إلا داخل هذا المستوى »[1].

وتندرج سيميائية الأهواء في سياق المشروع النقدي الذاتي للنظرية السيميائية ، فالاهتمام بالبعد الاستهوائي بعد حصر البعدين التداولي والمعرفي يأتي لملأ بياضات النظرية السيميائية، وظهور إشكالية الأهواء والعواطف الإنسانية في فضاء السيمياء، أعاد الاعتبار إلى الحياة الداخلية للذات التي استبعدته الخلفيات البنيوية،لذا فرضت هذه المقاربة إعادة تشكيل النموذج التوليدي لأنّ «التشكُّلات الاستهوائية تتموقع في ملتقى كل محافل المسار التوليدي للدلالة فتمظهرها يقتضي بعض الشروط ، والشروط القبلية الخاصة ذات الطبيعة الإبستيمولوجية وكذلك بعض عمليات التلفُظ »[2] فالإنفتاح على الأهواء قد وجّه عملية التقويم الإبستيمولوجي بالضرورة إلى مساءلة الجهاز المفاهيمي للنظرية الأساس في كليّته.

([1]) عبد المجيد نوسي : في التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية – التركيب – الدلالة) ، تم الإطلاع بتاريخ:25-03-2017،الساعة(10:25) www.anfasse.org

([2]) محمد بادي : سيميائيات مدرسة باريس، المكاسب والمشاريع (مقاربة ابستيمولوجية) ، مجلة عالم الفكر السيميائيات، مج 35 ، ع 03 ، الكويت ، مارس ، 2007 ، ص 303 .

كما نجد في سيميائية الأهواء ثنائية الاتصال والانفصال من خلال علاقة الذات بثنائية المكان والزمان،حيث يؤدي انفصال الذات عن فضاء معيّن تشكيل حالة نفسية،ذلك أنّ عدم التذكُّر والنسيان يغير حالة الذات، كما أنّ انفتاح الذاكرة واتصال الذات بفترة معينة قد تؤثر فيه نفسيا

بمعنى أنّ سيميائية الأهواء تهتم بعلاقة الذات بالعالم الخارجي حيث أنه يمكن للأشياء وما في المحيط الخارجي أن يؤثر على الذات أثناء الفعل أو قبل القيام بالفعل، فإذا كان العامل الذات في سيميائية العمل يقوم بالإنجاز والتنفيذ لتحقيق الموضوع محققا العلاقة بين الذات والموضوع، فإن عامل الذات خاضع لبعد استهوائي في عملية الإنجاز،وذلك من خلال علاقته بالعالم الخارجي، إذ يصبح هذا الأخير عاملا مؤثرا وموعزا للذات الإستهوائية نحو تحقيق الموضوع .

ومن هنا فالتركيب السردي يتمثّل في اتصال الذات مع الموضوع المرغوب فيه، الذي يتمثل في تغيير العالم الموضوعي،أو تصحيح الواقع الفاسد،ويعني هذا الانتقال من هوى الحب إلى هوى الكراهية والترهيب، ومن ثمّ يقوم الفاعل الإجرائي بمجموعة من الأدوار الغرضية والأدوار الانفعالية الاستهوائية ، وتتمثل الأدوار الغرضية أو المعجمية في : الطفل، الأرملة، الفقيرة، المراهق، العجوز، النصاب، المحتال، الأم،الشاب...أما الأدوار الانفعالية والاستهوائية فيمكن توضيحها على الشكل التالي : الخائف،التائه،المنعزل، الإرهابي ، الغاضب ،الحاقد، المحب، القاتل...

هذا ويلاحظ أن الأدوار الغرضية تتداخل بشكل من الأشكال مع الأدوار الانفعالية والعاطفية، وهذا ما يجعل سيميوطيقا الأهواء عاجزة عن تغريد خطابها الوصفي،وتمييز قاموسها المعجمي والانفعالي عن المدونة القاموسية لسيميوطيقا الفعل أو العمل،ومن جهة أخرى تصب كل هذه المقولات التصنيفية والصور المعجمية والانفعالية في التشاكلات السيميائية التالية :

التشاكل النفسي أو التشاكل الانفعالي : (النقمة ، الغضب ، السخط ، الكراهية)

فيتحقّق التشاكل بوجود وحدات دلالية متقاربة المعنى في مستوى الخطاب ،وبذلك يتحدّد التشاكل من خلال علاقة الوحدات الدلالية المتراكمة في سياق الخطاب،وتحوي الرواية التي نحن

بصدد دراستها ومعرفة أغوارها وأسرارها مجموعة تشاكلات لعواطف وأهواء انتابت الشخصيات أثناء تدارك الأحداث نجد :

أولا : تشاكل الحقد :

وتتمظهر عاطفة الحقد لدى الممثل "سليم" عند انهياره وتحطم آماله واندثار أحلامه، عند إفلاس والده العجوز فالحقد تعبير انفعالي ناتج عن عدم قدرة سليم على المواجهة والتحمل، فكان سليم حاقدا على والده وعلى الزمن وعلى النصاب إسكندر « بدأ طنين مزعج في أذنيه، عجز عن طرده ، كما لو أنّه دوي الكارثة، وشعر أن كل خلية في جسده تنبض بألم حارق ،وتفجر حقده كاسحا على والده العجوز»[1]،حيث أنّ هذا الهوى الذي سيطر على سليم فجأة لم يكن ليتخلّله لو لم يتعرض والده للسرقة والنهب، وبالتالي فهناك أسباب لهذه العاطفة أي أنها لم تكن عاطفة خالصة أي لم تكن صفة وليدة في قلب هذا الشاب « لم يعد سليم يميز بين مشاعر الحقد على الزمن، ومشاعر الحقد على والده، والحقد على النصاب، كأنه يحسّ أن حقده يتضاعف ويتكاثر في كل لحظة »[2].

وكذلك شخصية "جميل" المراهق الذي وجد نفسه أمام مواجهة لمرض نفسي سيطر على كيانه كان هذا الطفل حاملا لشحنات حقد وكراهية لإسكندر كذلك هو لم يكن الحقد من صفاته ودواخله لو لم يتعرف على سليم الذي شحنه بمشاعر لم يكن جميل ليكون سجينها وحاملها. فالجانب النفسي يظل في كينونة الذات الاستهوائية "جميل" ويدفعها إلى الفعل والحقد.

ومن ناحية أخرى نجد الشاب "رياض"، صديق "إسكندر"، حقده يبدأ لحظة وقوعه ضحية الغدر والخيانة من قبل صديقه الوفي إسكندر النصاب، كذلك هذا الأخير لم يكن الحقد ليعرف طريقا إلى قلبه لو لم يتعرّض للغدر« لكنه أقسم أنّ هدفه في الحياة بعد أن تمّ إنقاذه هو قتل إسكندر»[3]، وبالتالي فعاطفة الحقد التي سيطرت على أغلب شخصيات الرواية لم تكن عاطفة

([1]) الرواية ، ص 07 .
([2]) الرواية ، ص 08 .
([3]) الرواية ، ص 85 .

خالصة،ولم تولد مع ميلادهم، كما أنّها لم تكن عزيزة، وإنما تولدت مع مرور الزمن بفعل الظروف وملابسات الرواية، وأكبر دليل حقد سليم على والده الذي لم يكن حقدا وإنما حبا بالمقلوب .

ثانيا : تشاكل الحزن :

وتستبدُّ بالشخصية " سعاد " عاطفة الحزن والخوف على مستقبل أبنائها أثناء سماعها خبر فرار إسكندر ، فراره بأموالها وكل ممتلكاتها ، فينتابها شعور بالحزن الشديد« أحسّت سعاد أنها حطام امرأة...»[1]،كذلك معاناة ابنها البكر"جميل"جعلتها تحزن لحاله وتعاني لأجل شفائه وراحته «هكذا كانت تفكر سعاد ، وهي تشعر أن قلبها متورم ويرشح دما . ورغم تهالكها من التعب وإحساسها بالانهيار ، فإنها لم تكف عن الابتسام لابنها من وقت للآخر...»[2].

كذلك تتجسد هذه العاطفة عند سعاد من خلال «...فكرّت أنّ أكبر ألم تحسه الأم حين ترى أولادها يكابدون الألم والاكتئاب وفقدان الأمل »[3]، فملفوظات الألم ، الحطام ، الانهيار، التورم، الهلاك...كلها كلمات تدخل ضمن النسق الدلالي " الحزن والمعاناة "، فتشكلت عاطفة الحزن عند سعاد وارتبطت أساسا بوفاة زوجها أولا ومعاناتها لأجل إعالة أبنائها ،وخداعها ثانية من قبل إسكندر، فانتقلت سعاد من حالة راحة وطمأنينة إلى حالة تعب وكد وشقاء متواصل ، وخوف على مستقبل أولادها ومستقبلها ، تحولت من امرأة إلى مجرد آلة تعمل وتعمل، غير مسموح لها أن تتوقف أو تتعب ، وبالتالي نجد متناقضين في حالة سعاد؛ حالة الراحة /حالة اللاّراحة،راحة في وجود زوجها، ولا راحة في غيابه ، كما نجد متضادين : الراحة / التعب .

كذلك شخصية" نجيب "العجوز الذي لم يرحمه إسكندر النصاب رغم عجزه وشيخوخته إلا أنّه كان ضحية المصيدة ، ضحية لإسكندر ، ضحية من ضحايا النهب والاحتيال ، نجيب الذي خسر كل أمواله بعد أن كان مستقر الحال « تفكيره عطُب تماما ، تحول إلى إنسان ملعون ، حلت عليه

([1]) الرواية ، ص 24 .
([2]) الرواية ص 23 .
([3]) الرواية ، ص 25 .

اللعنة ، أجل حلّت عليه اللعنة ، خسر كل ماله ، ما أقسى خسائر العجائز ...»[1]،فخسارة كهل لكل ما يملك بمثابة الحكم عليه بالموت،« دفن نفسه في صمت الإنكسار،وصار زاهدا بالحياة ، يائسا من إمكانية استعادة ماله المسروق»[2]فلم يكن الحزن والمعاناة ليحلا بنجيب لو لم يتعرض للإفلاس،فبعد أن كان ثريا فرحا يستثمر أمواله ويحقق أرباحا تحول إلى ضعيف مشلول تماما من هول الزلزال والكارثة التي ألمّت به ،خاصة وأنّ المتسبب في هذا هو التحول هو إسكندر الذي ائتمنه على كل أمواله فخانة وغدر به وسرقه ،ومنه فشخصية العجوز نجيب تتمخض على عاطفتين متضادتين : الفرح / الحزن .

ثالثا : تشاكل الانفصام :

تشكّل هذا المرض النفسي في الرواية ؛وتمثل في شخص جميل، هذا المراهق الذي كان يعاني مرضا نفسيا تسبّب فيه النصاب إسكندر،جعله يقوم بتصرفات لا عقلانية وجنونية ،جميل الذي كان يعيش حياته بصفة عادية كباقي أقرانه ليتعرض في حياته إلى ضغوطات نفسية لا تحتمل ، كان والده يغمره وإخوته بالهدايا الفخمة التي يجلبها والده له ليشهد ابن التسع سنوات كيف انْقلبت حياته رأسا على عقب،وانتقلت من الترف إلى الحرمان،وهنا نقف عند ثنائيات : الإمتلاك /الحرمان ، الترف/ الحرمان، الفقر / الغنى ، دخله شعور بالخوف والقلق عند هبوط مستوى معيشتهم إلى حدّ كبير .

وبذلك تتصاعد الوتيرة النفسية لدى"جميل"إذ يسيطر عليه عامل نفسي واستهوائي قوي متمثل في الشعور بالانهيار والتخبط الداخلي والانحراف .« يشعر جميل أن الكون كله مسخّر لخدمة هؤلاء الأثرياء ، يفكر أنهم بشر مثله ، لكنهم أثرياء وهو فقير »[3] فالذات الاستهوائية "جميل" في حالة يأس وتذمّر من كل شيء يسيطر عليه شعور بالضياع والفشل ، هذا ما دفع به إلى الانعزال تماما فقد إحساسه بذاته، يشعر أنه يطفو في هذا العالم، كما يطفو رواد الفضاء على سطح القمر.

---

(1) الرواية ، ص 13 .
(2) الرواية ، ص 91 .
(3) الرواية ، ص 47 .

كل هذا إضافة إلى بلوغه المبكر جعله«لا يعرف ما الذي يعتمل في هذا الجسد الذي قفز فجآة من عالم الطفولة المسالم إلى عالم المراهقة المشحون بالرغبات الهائجة التي من المستحيل ضبطها، يشعر أن الغريزة قوة طاغية لا مجال لردها،يشعر أنّها تمتطي جسده وتستبعد روحه...»[1] إنّ خروج جميل من واقعه الحقيقي، وولوجه في عالم آخر يجعل منه شخص آخر،إنسان يشعر بالقهر والحرمان ، يحسّ بالفشل واليأس والإكتئاب ،وهنا تتمظهر ثنائيات : القوة والضعف، الاطمئنان والخوف .

ففي حالة اتّصال الذات "جميل"بالموضوع" المادة" تكون الذات الاستهوائية في حالة قوة ،وفي حالة الفراغ والانفصال عن الموضوع يشكل لنا إنفعال وقلق للحرمان من الموضوع ، فتشعر الذات الاستهوائية بالضعف النفسي،فالانتقال من حالة استهوائية إلى حالة أخرى يحدّد المآل للتغيرات الاستهوائية ويتجلى ذلك في الأزمة النفسية للذات" الانفصام ".

رابعا : تشاكل الانتقام :

يتشكّل هوى الانتقام كانْفعال قوي بتصاعد الجانب التوتري للذات الاستهوائية بداية بوجود مثير التوتر من خلال اللقاء الذي جمع جميل بسليم وتوحّد الوجع والألم الذي يحسّه كل منهما، أدى هذا إلى تحريض سليم لجميل المراهق وشحنه بشحنات سلبية ضد إسكندر فاستمرار سليم في مهمته الاقناعية والتحريضية أدخل توترا حادا وقلقا في نفسية جميل وتغيّر مزاجه في البعد الاستهوائي، فشكّل ذلك شعور هووي لوجود خيانة وخداع من قبل إسكندر، وزاد حقدا على حقد في قلب جميل تجاه إسكندر ، مُحفّزها سليم، مما قاد جميل إلى التفكير في الانتقام، فشكلت الأهواء تغيرات الحالة من الهدوء إلى الانفعال الشديد نحو الانتقام ،وكشفت لنا تغيرات الحالة الاستهوائية من حالة إلى حالة أخرى المآل الذي تجلى في فعل الانتقام وذلك من خلال قتل ابن أخت إسكندر الذي كان بمثابة الابن لإسكندر ،بل كان كل حياته وبالتالي فقد حرّك هوى الحقد والألم، إضافة إلى المرض النفسي للذات الاستهوائية "جميل" إلى حدث استهوائي يتمثل في حمل المسدس معه وقتل ابن أخت

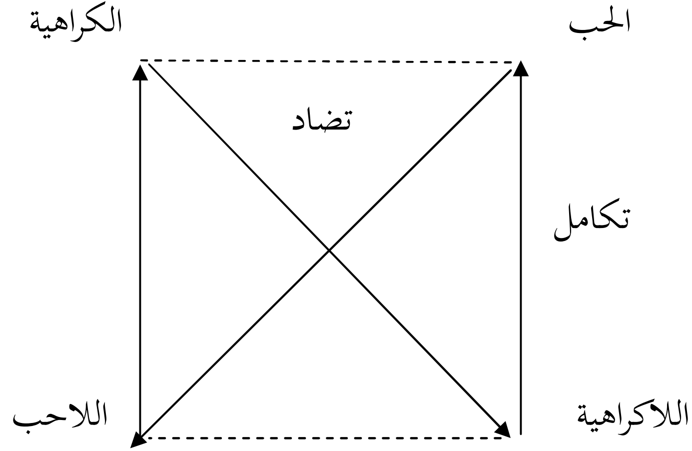
([1]) الرواية ، ص 49 .

إسكندر،وبالتالي فهوى الانتقام تمثل في فعل الذات المريض والحاقد بإطلاق النار وقتل إسكندر روحيا لا جسديا،فتغير حالة النفس يؤدي إلى تغير حالة الجسد حيث يتمظهر الانفعال من خلال:(متعجبا، لمعان غريب في عينيه ، قرار يائس يسطع من عيني جميل ،منخطف إلى عالم آخر بدأ جميل يتهرب من صديقه...)، كلها انفعالات تدل على تغير جميل، بعد أن كان منعزلا في غرفته تائها ، متألما ، شاحبا كئيبا ،وبالتالي فجميل كان يفكر في فكرة سليم والتي كان جوهرها الأساس الانتقام من إسكندر،فبعد أن هداه سليم إلى السبيل لذاته ،تغيّرت حالة جسده وكأنه نجح في قتل إسكندر وانتهى الأمر ،وكل هذه العواطف تدخل ضمن هووين متناقضين ألا وهما هوى الحب وهوى الكراهية، ولتمثيل العلاقات بين العناصر وإخضاعها لنظام منطقي(علاقات التضاد والتناقض ، التكامل أو التضمن)،والعمليات الممارسة على العناصر التي تربطها علاقة عملية النفي وعدم الإثبات نتعرّض إلى المربع السيميائي الذي يساعد على الفصل في هذه العلاقات وتوضيح وتقدير الروابط التي تقيمها فيما بينها ، كما يساهم في الكشف عن إنتاج الدلالة في البنية السردية وذلك على المستوى المنطقي الدلالي ، والمربع السيميائي مصطلح اقترحه غريماس وهو « نموذج لشبكة العلاقات الدلالية الأساسية (...) قابل للتماثل مع بعض أوجه التركيب السردي وبالنسبة ل:"غريماس"(المربع السيميائي) هو قبل كل شيء بنية انبثاق تسعى إلى تمثيل كيف يتم إنتاج الدلالة عن طريق سلسلة من العمليات الإبداعية لمواقع متباينة »[1]. كما يرد في معجم "غريماس" أنه « يقصد بالمربع السيميائي التمثيل البصري لعلاقات منطقية في المقولة السيميائية لأي بنية...»[2]، ويكون كالآتي :

([1]) ينظر : ألجيرداس غريماس وآخرون ، تر : عبد الحميد بواريو : الكشف عن المعنى في النص السردي – النظرية السيميائية السردية ، د . ط ، دار السبيل للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2008 ، ص 151 .

([2]) Voir : A. J Grimas , J . courtes , sémantique dictionnaire raisonné de la théorie du langue , p29 .

نقلا عن : جريوي آسيا : السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة ، دراسة في ثلاثية " حكاية بحار " لحنامينة (رسالة دكتوراه)، إشراف : بن غنيسة نصر الدين ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، 2012 ، ص 87 .



يصوّر لنا المربع السيميائي عاطفتين متضادتين الحب/الكراهية ، لكل منهما عاطفة مناقضة لنتحصّل على ثنائية اللاّحب/اللاّكراهية ،تحقق الدلالة من خلال العلاقات القائمة فيما بينها.

وهنا نستخلص أنّ اختلاف و تباين العواطف في الرواية أدّى و بشكل واضح لخلق الدلالة، وأضفى على التراكيب نوع من الجمالية و الإتّزان وساهمت بالشكل الكبير في تنمية الأحداث وحركيّتها ،وفق برنامج استهوائي تستوقفه محطّات تساهم في بناء النص الروائي.

خاتمـــــــــــة

خاتمة :

تستوقفا خاتمة البحث لنحاول من خلالها رصد بعض النتائج في حوصلة هذه الدراسة ، ومن أهمها نذكر :

1- أنّ سيمياء الأهواء تتخذ السيمياء السردية قاعدة أساسية تبنى عليها ، لكنها تختلف عنها من حيث البنى القاعدية ، كما تعمل على إعادة بناء فضائها العاطفي ، وتأتي بعدها مرحلة التقييم متوجا لجميع المراحل التي تكون خاضعة له ، وهو يتعدى مستوى الفعل .

2- أنّ الاهتمام الذي أولاه غريماس لسيميائية الحدث وإهماله للجانب النفسي جعله محل إنتقاد من طرف ، هذا ما دفعه إلى إعادة النظر في دراسته السيميولوجية ليصل في النهاية إلى التوفيق بين داخل النصوص وخارجها .

3- أنّ للأهواء دور فعال فهي مبعث للتأثر والتأثير باعتبار أنها المسؤولة الوحيدة عن توليد الدلالات، والعمل على تحريكها ، فهي بمثابة القاعدة الأساسية التي يبنى عليه كل عمل فني .

4- أنّ عالم المشاعر والأحاسيس يشكل " الحالات النفسية " ، مرحلة هامة لا نستطيع تجاوزها وإهمالها لأنها مسؤولة عن توليد المعاني المختلفة .

5- أنّ دور الأهواء يكمن في الأعمال الأدبية خاصة (الرواية) في التحكم في شدة العاطفة ، إذ تكون موزّعة بدورها على درجات متفاوتة ، فهي في حركة دائمة إما تصاعديا " توترات إيجابية " وإما تنازليا " توترات سلبية " أو منعدمة .

6-أنّ الخطاطة الاستهوائية تقوم على مجموعة من العناصر :

- **وضعية افتتاحية " البداية "** : تتجسد من خلال حالة الذات الاستهوائية عند بداية العمل السردي .
- **الإضطراب** : (لحظة المأساة أو العقدة) أي تغير في العواطف .
- **الصراع** : يولد انفعال بين الشخصيات ويحدث بين ذاتين استهوائيتين لتحقيق الموضوع .
- **الحل** : يكاد يكون مشكوك فيه لاختلاط و تباين عواطف ومشاعر الذوات وانفعالاتهم .

- **النهاية** : إما أن تنتهي بإتزان للعواطف أو بإضطراب وتأزم لها ، أي تطور ونتيجة و إفراج للصراع القائم بين الذوات إما للأحسن أو الأسوء .

7- أنّ الفضاء السيميائي الذي يعج بالأشكال المعرفية / الباتيمية ، حيث يمتزج العقلاني واللاعقلاني في عقلانيات متنوعة وغي تمظهرات متعددة ، هو البؤرة المنسجمة لاستكشافاتنا .

8- أنّ الرواية تقوم على عناصر أساسية : " الشخصيات " (محور الدراسة السيميائية الهووية) ، " الأحداث " ، " الراوي " ، و عناصر فرعية : " الزمان " ، " المكان " .

9 – أنّ تقنيتي الاستباق والاسترجاع من التقنيات المهمة للزمن ذلك لأهميتهما البارزة حيث أن :

- تقنية الاسترجاع ترتبط بالذاكرة الشخصية ، ويتم فيها استدعاء لبعض المواقف والوقائع ، وجعلها تنشط في نطاق الحاضر كذلك هي أسلوب فني الغرض منه سدّ الفجوات والثغرات التي يوجدها السرد .
- أما تقنية الاستباق فقد أصبحت طريقة وأسلوب الروايات العربية المعاصرة حيث أغنت الأعمال القصصية بتقنيات فنية وجمالية ، فهي نوع من تلخيص الأحداث المستقبلية غايتها حمل القارئ إلى توقع حادث وفتح آفاق للتوقعات والتكهّنات .

10- أنّ عنصر المكان يلعب الدور البارز في الأعمال الروائية ؛حيث أن تعدد الأمكنة في النص يضفي نمطية وجو من الحركة على الرواية.

11- أنّ الحدث أهم عنصر في الرواية ، إذْ لا وجود لرواية دون أحداث فَبِهَا تنمو المواقف وتتحرك الشخصيات وهي موضوع الرواية الأساسي .

12- أنّ سيميائية الأهواء تعتني بدراسة الذات داخل الخطاب ، وهنا يبرز المحور الأساسي الذي تشتغل عليه هذه الدراسة ألا وهو " الشخصيات " لما مدى أهمية الدور الذي تحتله في الرواية .

13- أنّ الأهواء تتباين وتختلف في النص الروائي لخلق جوّ من التوازن وإثارة الصراعات بين الشخصيات الشريرة والشخصيات الخيّرة ، لتحقيق الموضوع .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

G القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم) .

1- الكتب :

1- إبراهيم السيّد : نظرية الرواية "دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر، 1998 .

2- ألجيرداس غريماس وآخرون: الكشف عن المعنى في النص السردي النظرية السيميائية ، تر : عبد الحميد بواريو، د.ط ، دار السبيل للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2008 .

3 – ألجيرداس غريماس وجاك فونتاني : سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس ، تر: سعيد بنكراد ، ط1 ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ،بيروت ، لبنان، 2010 .

4 – آمنة يوسف : تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، ط2، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ، 2015 .

5- أنس شكشك : علم النفس العام ، القوى النفسية المعرفية ، والقوى النفسية المحركة للسلوك ، ط1 ، دار النهج للدراسات والنشر والتوزيع ، حلب ، سوريا ، 2008 .

6- تودوروف تزفيتان : مقولات السرد الأدبي ، تر : الحسين سحبان وفؤاد صفا ، طرائق تحليل السرد الأدبي ، ط1، منشورات اتحاد الكتاب ، المغرب ، الرباط ، 1992 .

7- جيرار جنيت وآخرون : نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير ، تر : ناجي مصطفى ، ط1 ، دار الخطابي للطباعة والنشر ، 36 ، زنقة بروفان ، البيضاء ،المغرب ،1989 .

8- حامد أحمد الدبّاس : فلسفة الحب والأخلاق عند ابن حزم الأندلسي ،ط1، دار الإبداع للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1993 .

9- جميل حمداوي: مستجدات النقد الروائي ، ط1، الناظور ، المغرب ، 2011 .

10- سعيد بنكراد : تقنيات السرد الروائي وتجربة المعنى، ط1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ، 2008 .

11- سعيد بنكراد : السيميائيات النشأة والموضوع ، مج 35 ، مجلة عالم الفكر (السيميائيات) ، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ع 03، 2007 .

12- السعيد الورقي: اتجاهات الرواية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،مصر ، 1998.

13- سمر روحي الفيصل: الرواية العربية البناء والرؤيا، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،سوريا، 2003.

14- سيزا قاسم : بناء الرواية دراسة مقارنة في « ثلاثية » نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، 1978 .

15- شريبط أحمد شريبط : تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، د.ط ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ،دمشق،سوريا، 1985 .

16- شكري عزيز الماضي : أنماط الرواية العربية الجديدة، د.ط ،سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، 1978 .

17- صالح مفقودة : أبحاث في الرواية العربية، د.ط، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر .

18- عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة) ، ط1، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، 1990 .

19- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد " ، د.ط ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1998 .

20- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (ابن كثير) ، تفسير القرآن الكريم ،تح: سامي بن محمد السلامة ،ج 2 ،ط 2 ،دار طيبة للنشر و التوزيع ،الرياض،السعودية،1999.

21- فيصل الدرّاج : نظرية الرواية والرواية العربية، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002 .

22- كامل محمد محمد عويضة: علم نفس الشخصية، مر: محمد رجب البيومي، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 1996 .

23- محمد برادة: الرواية العربية ورهان التجديد ،ط1، مجلة دبي للثقافة ،دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع ،ماي ،2011 .

24- محمد عزام:شعرية الخطاب السردي (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق،سوريا، 2005 .

25- محمد عفيفي مطر : الأعمال الشعرية الكاملة ، مج1 ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر، 1993 .

26- محمد منيب : الفضاء الروائي في الغربة ، د.ط ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب 1985 .

27- محمود حمدي زقزوق : مقدمة في علم الأخلاق ، ط3 ، دار القلم ، الكويت ، 1983 .

28- مراد عبد الرحمان مبروك: آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة "الرواية النونية نموذجا"، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مارس ، 2000 .

29- نبيل صالح سفيان : المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي (المفهوم – النظرية – النمو – التوافق – الاضطرابات ، الإرشاد والفلاح)، ط1، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر الجديدة ، 2004 .

30- هيفاء بيطار : أحلام نازفة ، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، 2010 .

31- يمنى العيد : تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، ط1 ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، 1990 .

المجلات والدوريات :

1- أسامة قايد : المسؤولية الخبائية للطبيب عن إفشاء سر المهنة ، دار النهضة العربية .

2-بان صلاح الدين محمد حمدي : الفضاء في روايات عبد الله عيسى السلامة ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، مج11 ، ع (01) ، ت .ن 69 ، 2011 .

3-قوتال فضيلة: التشاكل والفعل الاستعاري في النصوص الأدبية (سيميائيات) ، مجلة دورية محكمة تصدر عن مخبر السيميائية وتحليل الخطابات ، د.ط ،منشورات دار الأديب،جامعة وهران، الجزائر ، 2006 .

4-محمد بادي: سيميائيات مدرسة باريس المكاسب والمشاريع (مقارنة إستيمولوجية) ، مجلة عالم الفكر (السيميائيات) / مج35 ، ع 03 ، الكويت ، مارس 2007 .

5-محمد الداهي:سيميائية الأهواء ، مجلة عالم الفكر (السيميائيات)، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، مج 35 ، ع (03) ، الكويت ، 2007 .

الرسائل الجامعية :

1- أحمد بن محمد الشهري: الإنحراف الجنسي بعد البلوغ وعلاقته بالتعرض للاعتداء أثناء الطفولة ، (رسالة دكتوراه) ، إشراف:(عبد الله بن عبد العزيز اليوسف)، الرياض، السعودية، 2010 .

2- بشار سعيدة: سيمياء الانتماء في رواية " الانطباع الأخير " لـ : مالك حداد (مذكرة ماجستير) إشراف : (آمنة بلعلى) ، جامعة مولود معمري ، جامعة تيزي وزو، تيزي وزّو ، الجزائر .

3- جريوي آسيا: السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة ، دراسة في ثلاثية " حكاية بحار "حنا مينة" (رسالة دكتوراه)، إشراف: (بن غنيسة نصر الدين)، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر، 2012 .

4- عمي ليندة: سيمياء العواطف في قصيدة " أراك عصيّ الدمع " لأبي فراس الحمداني ، (مذكرة ماجستير) إشراف : (آمنة بلعلى) ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر .

القواميس والمعاجم :

1- إبراهيم مصطفى وآخرون : قاموس الوسيط، تع: مجمع اللغة العربية،ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، القاهرة، 2004 .

2- أحمد مختار عمر : المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته ، ط1، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض، السعودية، 2002 .

3- جيرالد برنس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام ،ط1، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر 2003 .

4- فيصل الأحمر: معجم السيميائيات ، ط1 ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف، الجزائر ، 2010 .

5- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (القرطبي): الجامع لأحكام القرآن ، ج8، د.ط، دار إحياء التراث ، بيروت، 1985 .

6-محمد صديق القنّوجي: أبجد العلوم ،ج1، ط1،إع: عبد الجبّار زكّار،منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1889 .

7- محمد الغلاييني: جامع الدروس العربية ، ط22 ، منشورات المكتبة العصرية ، لبنان ، 1989 .

8- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ابن منظور)،ج6 ،ط1، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر .

المواقع الالكترونية :

1- عبد الحميد نوسي: في التحليل السيميائي للخطاب الروائي(البنيات الخطابية- التركيب-الدلالة).
www.anfasse . org

2- ليلى أحمد عزت النعيمي : الشخصية الإرهابية والعوامل المؤثرة في تكوينها.

www.acofps . com

فهرس المحتويات

الفهـــــــرس

المـدخـــل

قضايا الرواية العربية المعاصرة

الفصل الأول

سيمياء الصور الانفعالية

الفصل الثاني :

البنية السردية الهووية